من يجيبني ؟

الحقيقة عن الشؤون الجنسية

1

للشبان

كليمان يريرا

من يجبني ؟

من يجبني ؟

الحقيق عن الشؤون الجنسية

1

للشبان

كليمان يريرا

نقله الى العربية

جرجس ماردیني

الطبعةالسادسة

دار المشرق

بيروت

– بإذن الرؤساء –

جميع الحقوق محفوظة، طبعة سادسة 1996

دار المشرق ش م م – ص.ب. 946، بيروت

ISBAN 2-7214-1048-2

التوزيع : المكتبة الشرقية

ص. ب. 1986، بيروت – لبنان

ظهر أولاً بالألمانية، ثم ظهر بالفرنسية :

OUI NOUS DIRA LA VERITE?
PAR CLEMENT PEREIRA

إلى أصدقائي من الشبان

الذين يطالعون هذه الصفحات

لا معرفة لي بك، أيها الشاب، اذ أجهل المدينة التي تقطنها، والدار التي تسكنها، والمدرسة التي تسكنها، والمدرسة التي تتردد إليها، والحرفة التي تحترفها. أجهل منك كل شيء، حتى اسمك.

ومع ذلك، فليس لذي بأمتع من أن أتحدث إليك، من خلال هذه الصفحات التي أخذت تطالعها ، عما أعرف من الحياه وشؤونها، حديث أب مع ابنه، وصديق مع صديقه.

وما موضوع هذا الحديث ؟

ذلك ما تسأله، وما أقوله لك : لقد جبت البلاد، واتصلت، حيث حللت، بجماعات الشبان منكل الطبقات، في ندواتهم، وفي محافلهم، وفي حفلاتهم واجتماعاتهم، أتحدث إليهم محاضراً، أو مرشداً، أو معلما فكنت دائماً أقرأ في عيونهم، أول ما أقرأ، عندما كانت العين تقع على العين، السؤال التالي بذاته : هل سيتكلم؟

نعم، سأتكلم. سأقول لك الحقيقة، لأنك تنشد الحقيقة ليس بدافع من الفضول، بل عن حاجة حيوية ملحة ي نفسك، لا تستقيم لك الحياه بدون تلبيتها.

وإنك لواجد في هذه الصفحات ضالتك، أيها الشاب، بعد أن بحثت عنها، أنت والكثيرون ممن هم في سنك من الشبان، في الكتب والمجلات والقواميس والمجموعات، فلم تقع فيها على الجواب الشافي الوافي.

وكنت نلجأ، لحل ما تلقى من مشاكل ، إلى رفقاء لك، دون والديك ومعلميك. لأنك لم تكن لتجرؤ على مكاشفة ذويك بكثل هذه الأمور.

هذه كانت وسائلك إلى الحقيقة فلم تعد منها إلا القليل الذي لا ينقع غلة، ولا يغني. ولم يشتعل بين جنبيك، عوض الأنوار الساطعة، إلا شمعة ضئيلة لا تضيء بمقدار ما تدخن.

بعدما وضعت الحرب أوزارها سألت المئات من الشبان أن يقولوا بصدق وصراحة : كيف ارتجلوا أسرار الحياه، وما كانت وسائلهم إليها ؟ فأجاب حوالى السبعمائة منهم، بأنهم لم

يجدوا من معمميهم أذنا صاغية، ولم يتلقوا منهم جواباً لأسئلتهم. فعمدوا إلى عشراء الشارع يتمرسون على يدهم في شؤون الحياة.

ألم يكن هذا شأنك أنت أيضاً ؟ معاذ الله أن أقرعك على ذلك. لكنني أطلب منك أن تنسى ما تعلمت منهم، وفيه الغث والسمين، والحلو والمر. إنس ذلك تجد في هذه الصفحات الصادقة ما يروى عطشك إلى المعرفة، وما يصرفك عن التصورات الكاذبة والتخيلات البديئة، مما أترعت به نفسك ، لتحل محلها أفكار شريفة حقة، فيها نور، وفيها غنى.

إليك ما ورد في كتاب لأحد الشبان أرسله إلى، وقد كنت أرشدته في هذه السبل، قال : " أمنيتي أن يتلقى كل الفتيان، من الرابعة عشرة حتى السابعة عشرة، مثل هذا التعليم الصادق وهذه الأجوبة الشافية إذا لتبدلت أمور كثيرة من حياتهم ".

وهوذا ما كتبه آخر : " لو كانت الحقيقة عن هذه الأمور قد قيلت لنا في أوانها لما كنا وقعنا في ما وقعنا فيه من أخطاء ومن عثرات".

ليس لدي، ولا ريب من جديد مبتكر أطلعك عليه، لأن ذويك ربما أحاطوك علما بما يجب. إلا أنك إذا طالعت هذا الكتاب وأعدت قراءته، وتدبرت أقواله، فإنك لا تلبث أن تفهم وتعي ما يدعوك الله من واجب تقوم به، ومن رسالة تتجند لها، وإن في الحب الي تؤمن به لنبلاً ورفعة وسموًا.

وإذا لم تكتف بما في هذا الكتاب، وظلت في خاطرك بعض الأسئلة والمشاكل والغوامض تدور في خلدك تساورك وتقلقك ، فأطرحها، دون ما خوف وتهيب، على والديك أو على مرشدك، أو على أحد أساتذتك الثقاب. كن على يقين من أنهم لا يجهلون شيئاً من أسرار الحياه ومشاكلها ويس منهم من يتونى في أداء ما تطلب من النصح والارشاد لا رائد لهم جميعاً في ذلك إلا أن تشب فتى ظاهر الذيل ، قويم المبادئ ممدوح السيرة.

كليمان يريرا

أنتَ وأمّك

إذا ما رزق جار لك مولوداً، وسألك أخوك الصغير :

من أين جاء هذا الطفل ؟ فحذار أن تجيبه جواب من يتهرب من الاجابة كأن تقول له : قد أتى به الطير أو وجدناه تحت الشجرة أو ما أشبه ذلك. فقد يقنع لساعته بجوابك هذا لكنه لن يلبث أن تساوره فيه الشكوك.

أدل إليه بجواب صحيح يتناسب مع سنه ومداركه وإن كان ناقصاً من بعض نواحيه كأن تقول له : " لقد أتى من عند الله " . ليس بأصح من هذا الجواب لأن النفس الخالدة التي يتميز الانسان بها وحدها عن سائر الأحياء قد هرجت حقاً من يد الله الخالق وأخوك لن يقفه الآن أكثر من ذلك من الشروح كما أنه لن يقفه مسألة رياضية أو صيغة كيماوية أو غير ذلك مما يفوق الآن قواه.

آية الحياة

ولكن عندما يترعرع ويبلغ أشده، فتنمو مداركه، ويعي ما له من الحق في معرفة نشوء الكائنات الحية، وفي استكناه أسرار ولادتها فإن هذا الجواب نفسه لا يعود يصلح له إذ لا يسد حاجته ولا يقيه حقه من المعرفة.

وتدريب الطفل على تلك المعرفة يقع أولاً على عاتق الأم. فليس من يحسن ذلك سواها فلتبدأ بالطفل منذ أن يبلغ العاشرة من عمره وأحياناً قبلها، تقوده خطوة خطوة، في مسالكها الوعرة متلطفة، متأنية، مترفقة، تستوحي في ذلك قلبها وضميرها وعقله. لكن الأمهات وياء للأسف لا يقمن عادة بهذا الدور. بل سرعان ما يقفن في حيرة وارتباك لا يدرين ماذا يفعلن، ومن أي طرف من الأطراف يتناولن هذا الموضوع الدقيق بينما الأمر أسهل مما يتوهمن.

إليك على سبيل المثال ، ما فالته أم لابنها عندما أخذت تشرح له دورها في ولادة طفلها فقالت : " لم يشأ الله أن ينفرد بمنح الحياه. بل أراد أن يشرك معه في هذا العمل خلائفه أيضاً ولذلك فقد وضع في باطن كل كائن حي خليات خاصة هي الزرع الذي يصبح بعد ما ينو وبكير كائناً حياً كاملاً.

ألق في الأرض بذرة تفاحة فلا تلبث أن ترى شاقاً نحيلاً ينبت حيث زرعت البذرة. تعهده بعنايتك يصبح رويداً رويداً شجرة باسقة تعطي بدورها ثمرة تكمن فيها بذرة الحياة.

أما الانسان فشأنه في ذلك أعجب وأروع فإن الله قد أودع في جسم الأم في ناحية تحت القلب أعضاء دقيقة تنتج مثل هذه البرة الحية، ومنها يتكون فيما بعد جسم الانسان.

" أولاً يتعلم الطفل، وهو في حضن أمه، صلاة السلام عليك وفيها الكلمات التالية: " ومباركة ثمرة بطنك يسوع " ؟ ألا نذكر كل يوم في صلاتنا أن يسوع هو ثمرة بطن مريم أمه ؟ أجل لقد حملت العذراء مريم جسم أبنها يسوع في باطنها أولاً ثم ولدته بعد ذلك في مذود بيت لحم.

هذا شأن كل أم في العالم وهذا شأن أمك أنت يا بنى فلقد حملتك في أحشائي تحت القلب قبل أن تولد الى الدينا".

لا يحتاج الأطفال في سن العاشرة إلى أكثر من ذلك. ولا بأس أن تضيف الأم أيضاً إلى ما سبق أم كل في الانسان في البذرة الحية المحفوظة داخل أحشاء الأم.

أما كيف يكمن الانسان كله – ومنه الفحول النوابغ من ذوي العقول الجبارة – في هذه البذرة في نواه الحياه الصغيرة فهذا ما يعجز عن فهمه العقل البشري.

أمام هذه الآية الكبرى من آيات الله يجدر بالإنسان أن يطأطئ الرأس خاشعاً وقد يتوصل الانسان يوماً إلى إدراك سر الحياة إدراكاً أوسع وأعمق إلا أن العلماء لن يخترعوا بذلك شيئاً جديداً ولن يبتكروا ابتكاراً ويبدعوا إبداعاً ولكنهم يكتشفون اكتشافاً ما قد وضعه الله قبلهم من عجائب الوجود، وما قد أفره من سنة للحياة خالدة، يجعل بموجبها المرأة شريكة له في الابداع في إنجاب الولد.

كيف ينمو الطفل

كم يقضي الطفل من الوقت في أحشاء أمه، تحت قلبها ؟ أذكر ما تعلمته عن الطفل يسوع. ففي الخامس والعشرين من آذار نحتفل بذكرى البشارة، إذ أتخذ يسوع له جسماً من أمه مريم، وذلك باتحاده بتلك الخلية الحية الموجودة في أحشاء العذراء الطاهرة. وبعد تسعة أشهر أي كانون الأول نحتفل أيضاً بذكر ميلاد يسوع فيكون يسوع قد قضى تسعة أشهر في بطن أمه.

هذا ما حدث لنا أيضاً . فلقد تسعة أشهر في جسم أمنا قبل أن نرى نور الوجود. فكانت النواة الحية الصغيرة في أثناء ذلك تنمو في بطن الأم وتكر حتى بلغت بعد شهر بضعة مليمترات وبعد شهرين أخذت الأعضاء والرأس ترتسم وتبرز إلى الوجود واضحة الملامح وما ان انقضى الشهر الخامس حتى أخذت أمنا تشعر بوجودنا وتحس بكل حركة لنا في أحشائها حقاً إنها لم تعد في الحياه وحيدة فريدة.

تذكير ما تعلمته عن العذراء مريم : عندما قامت بزيارتها لنسبيتها أليصابات كل منهما، يومئذ، حبلي في أحشائها جنينا أي قبل الولادة ويخبر الإنجيل بذلك قائلاً :

" وامتلأت أليصابات من الروح القدس فصاحت بصوت عظيم وقالت :مباركة أنت في النساء وباركة ثمرة بطنك . من أين لي هذا أن تأتي إلى أم ربي ؟ فإنه عندما بلغ صوتي سلامك إلى أذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني ".

هذا الجنين سيصبح يوما يوحنا المعمدان ولقد وهبه الله منذ الآن نعمة خاصة فقدسه وهو في بطن أمه.

وعنما اقترب منه المسيح تحمله اليه العذراء اختلج وتحرك بفرح وابتهاج كمن في نشوة القداسة.

إن المرأة التى تحمل هكذا ابنها في أحشائها يقال لها امرأة حامل أو حبلى فلا تكن أنت من أولئك الرعاع ذوي الألباب السخيفة الذين لا يتمالكون أمام امرأة حبلى من التلفظ بلواذع الكلام ومن الاتيان بحركات وإشارات وأقوال يندى لها الجبين خجلاً هل نسواء يا ترى أن أمهم قد حبلت بهم يوماً فحملتهم هي ايضاً على هذه الصورة ؟ إن تصرفهم هذا لينم عن أخلاق سافلة وذكاء ضئيل حسبك من الاحتقار لهم والازدراء بهم أن لا تغيرهم أذناً ولا تلتفت إليهم.

ليكن مسلكك نحو الأمهات الحاملات مسلك احترام وأدب تتجلى فيه أخلاقك النبيلة وعقلك الراجح قم وافقاً ليجلسن مكانك ومد اليهن ما استطعت، يد المساعدة في ما يزاولن فيه مشقة وعناء فإن ما تبديه للأم الحبلى من احترام وتوفير إنما تبديه لمك أنت تلك التى حملتك مثلها وولدتك وأرضعتك.

ساعة الولادة

ها قد بلغ الجنين تسعة أشهر، وقد آن الإوان لأن يخرج إلى العالم إنها للأم ساعة الخلاص وأغلب الأمهات يذهبن إلى دار للتوليد حيث يجدن القابلات والممرضات والأطباء وكلهم من ذوي الاختصاص مما يدل على أن للولادة صعوبتها ومشقتها.

وعندما يحين الحين يهبط الطفل بطريقة طبيعية من الجزف المسمى بالرحم، الذي كان فيه إلى الناحية السفلى من أحشاء الأم. فتنفتح الأحشاء كما ينفتح برعم زهرة ، ويخرج الطفل من العش الأمهي في طريق ضيق يسمى المهبل، يمتد بين المثانة والأمعاء.

لا تخلو الولادة من ألم، تشعر به الأم عندما ينفصل الطفل عن جسمها ، اذ تضغط الأحشاء على ما حولها من الأعضاء وتتمدد تمدداً يؤدي أحياناً الى تمزقها مما يستدعى تدخل الطبيب.

أني لك أن تدرى أيها الفتى ما قاسته أمك من الأوجاع في سبيل ولادتك ؟ اسألها ذلك يوماً ، تروه لك، حتى يزداد قلبك لها حباً وبها تعلقاً .

قد يصيب بعض الأمهات من الجراحات، ومن انحطاط القوى ومن ارهاق القلب ما يؤذي بهن إلى الموت. إنهن يستسلمن إلى الموت في سبيل حياه طفلهن.

بينما كنت ذات يوم أتحدث عن ذلك إلى جماعة من الشباب منهم يخبرني، وقد أغرورقت عيناه بالدموع، بأن أمه هو ، قد ماتت على هذه الصورة.

وأنها ما كانت لتلاقي حتفها لو قبلت بما عرض عليها الطبيب من تضحية ابنها فيث سبيل إنقاذ نفسها. لقد فضلت أن تموت هي لكن تنفذ طفلها. فقلت لذلك الشاب : إنه ليحق لك أن تزهو بأمك وتفتخر !

ليس من ريب أن علم الطب قد تقدم تقدماً عظيماً وأن هناك من الوسائل والطرق ما يسهل على المرأة ولادتها إلا أنه مع ذلك تظل الولادة محفوظة بالمخاطر والأمهات يعرفن ما يتعرضن له منها فلا يحجمن وذلك حباً بطفلهن، وفي سبيل حياته.

لا يخفى أن الطفل ينمو، وهو في جوف أمه وأن جسمه يتلقى غذاءه من جسم أمه. فلقد وضع الله لذلك تدبيراً عجيباً فوصل بين أمعاء الطفل بشريان كان السائل الغذائي يمر بواسطته من جسم الأم إلى جسم إبنها.

وعند الولادة ينقطع هذا الشريان تاركاً أثره من جرح في بطن الولد يندمل بعد مدة فيبقى العلامة الظاهرة يحملها الانسان مدى الحياه، لعهد كان فيه في بطن امه متصلاً بجسمها أوثق اتصال وأشدة.

عظمة حب الأم

كلما شهدت قراناً في كنيسة يبلغ مني التأثر مبلغه، ولا سيما في اللحظة الرهيبة التي يجيب فيها العروسان على سؤال الكاهن بكلمة : " نعم " إن هذه الكلمة كلمة الرضى والقبول لتتضمن في فم العروس أكثر من معنى الأمانة الزوجية إنها لتتضمن القبول لكل ما ستأتيها به الحياه من آلام جسمية ونفسية مما هو نصيب كل أم في هذا العالم.

أمك أيضاً أجابت يوماً على السؤال ذاته بكلمة " نعم " فكانت الكلمة التي أذت بأمك الى منحك الحياه وإلى ولادتك وكانت الكلمة لتي أفاضت من قلبها ينابيع العطف والحب نحو طفلها وقد أتت به إلى الوجود متحملة في سبيله العذابات بأذلة له من ضروب العناية ما لا يوصف ليل وهار طوال أشهر وسنين موفرة له طعامه وشرابه ولباسه وألعابه مهتمة بتنميته وتربيته وتثقيفه لا تدخر وسعاً ولا تضن بتضحية ولا تبخل بغال في سبيله.

إن مهمة الأم لا تنتهي اذا بالولادة اذ كيف يقوى الطفل المولود أن يسعى بنفسه إلى غذائه وإلى سد مختلف حاجاته ؟ ولذا فقد منح الله الأم الثديين ينبوعين يقيضان ليناً بهما ترضع الطفل غذاء هو أفضل ما يعطي لطفل أخذته من لحمها ودمها.

لا أستطيع أن أتصور أن هناك أولاداً لا يفقهون معنى ما تقوم به الأم المرضع اذ تلقم ابنها ثدييها من عمل نبيل إنهم يسخرون ويتهكمون يا لهم من بلهاء فاسدين لا يتورعون من التلفظ أمام أمهت بما لا يتلفظون به أمام أمهم فلا تتشبه بهم بل كن أسمى منهم قلبا ومدارك فهو الله الذي كون جسم المرأة على هذه الصورة وهو الذي زودها بما تقوم به بمهمة الأم وتؤدى به ورسالتها الخالدة على أحسن وجه.

هلم بنا نقرأ صفحة أخرى من الانجيل قد خطرت ولا شك ببالك : " ارتفع من بين الشعب صوت امرأة قائلاً : طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين أرضعاك. فأجاب يسوع قائلاً : بل طوبى للذي يعمل إرادة أبي ..."

ليست العذراء مريم إذاً " مباركة بين النساء " إلا أنها تممت إذ صارت أماً وفي كل ظروف حياتها إرادة الله بحذافيرها.

سأبين لك، أيها الشاب في سياق حديثي معك أن إرادة الله هي حقاً في الولادة وفي الحب وفي الزواج حتى إذا تمنعت في ما سأقوله لك عن ذلك ترتفع بأفكارك وعواطفك وتصوراتك إلى ما يجب من النبل والسمو.

وتخلف أيام الولادة هذه أيام أخرى غيرها تتخللها الأفراح والأحزان ألا تفرح الأم مثلاً عندما ترى إبنها يتقدم في دروسه ؟ ألا تحزن عندما تراه يشب طائشاً كسلاناً ؟ ألا تتألم عندما يقع طريح الفراش مريضاً ؟ فكر بكل ذلك تشعر بما يجب عليك نحوها من الحب والعرفان.

ليس من ربانك لا تبغي قط إحزانها إلا أنك في سن لا تنفك فيها تسبب لها الأحزان من غير قصد وتبكيها وتنغص عيشها بما تبديه من شراسه وفظاظة وبطاشة وقلة اكتراث ومبالاة.

إلا أنك أيضاً في سن حقيق أنت فيها بأن تفهم وتعي وتقدر فلا يفوتنك أن تظهر لأمك من العواطف إلا أنك تستطيع أن تنتهز فرصة ملائمة لكي تقول لها ببسيط الكلام – وأبسط الكلام أصدقه – إنك تشكرها على ما عملت وتعمله كل يوم لأجلك.

وأغتنم كل سانحة لتحيطها بضروب الحب والاكرام ولا تنس أن يوم ميلادك الذي هو يوم عيد لك هو أيضاً يوم عيد لتلك التي ولدتك فما أحب الولد الذي ينتظر في ذلك من أمه الهدايا والذي لا ينسى أن يأتيها هو أيضاً ذلك اليوم بهديته باقة من الزهور ترمز الى حبه وحذار من أن تتخلق بأخلاق أولئك الأنانيين الين ينظرون إلى أمهم نظرهم إلى خادمة أو طاهية عليها أن ترضى رغباتهم ونلبي طلباتهم وتسد حاجاتهم وتأتيهم بطعامهم على ما يريدون ومتى يريدون بينما من واجبك أنت أن لا تضن عليها بخدمة ولا ترفض لها من طلب ساعيا جهدك في أرضاها والترفيه عنها والسهر على راحتها

وما الذي تسطيعه يا ترى في سبيل ذلك ؟ إنك تستطيع أموراً كثيرة كأن تمسح بيدك حذاءك وترتب سريرك وثيابك وكتبك وألعابك وتغسل الصحون وتقوم بغير ذلك من أعمال اذ فتشت عنها في البيت وجدتها متوفرة.

وليس بأحلى على قلب أمك من هذه البوادر الطيبة تصدر منك فإنها عندئذ تسلو همومها وتنسى أتعابها.

الولادة الثانية

قد تستغرب هذا العنوان فما هي يا ترى هذه الولادة الثانية ؟ تذكر ما قاله المسيح لنقوديمس : " إن لم يولد أحد ثانية فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله " فقال له نقوديمس : كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ ؟ العله يقدر أن يدخل جوف أمه ثانية ويولد ؟ أجاب يسوع الحق الحق أقول لك : إن لم يولد أحد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله".

لقد فهمت دون شك أن المسيح هنا يتكلم عن العماد الذي يسميه ولادة ثانية فهذه الولادة تولد للحياة الروحية التي تشركنا بحياة الله نفسه بعد ما أعطتنا أمنا حياتنا الطبيعية.

في يوم عمادك اتخذك الله ابنا وبفضل يسوع المسيح منحك النعمة التى تتقدس بها نفسك وتتبرر.

وهكذا دخلت الكنيسة فصرت عضواً في جماعة المؤمنين بالمسيح.

لهذا السبب نسمي الكنيسة أما أمنا الكنيسة ويحق لها أن تدعى بهذا الاسم لأنها حملتنا في أحشائها وولدتنا إلى الحياة وطبعتنا بطابع أولاد الله وإخوة المسيح وأعضاء الجماعة المسيحية.

ينبغي علينا إذاً أن نحب أمنا الكنيسة كما يحب الأبناء أماتهم وكما تحب أنت أمك التى أعطت الوجود حباً لا يضاهيه حب.

صلى لأجل أمك

اللهم لقد وهبن أمي أن تعطيني الحياه، وبدونها ما كنت لأرى نور الوجود زدني لها حباً فلا أنسى ما تكبدت في سبيلي من المتاعب.

لقد سهرت علي طوال أشهر وسنين فتعهدت جسمي ونفسي بعنايتها ولا تزال إلى اليوم تغمرني بعطفها.

هي أول من تحدث إلى عنك يا الله فعلمتني أن أصلى ولأجلها الآن أصلى وأضرع.

باركها ورد إيها أضعاف ما أعطتني لأني عاجز عن تأدية ما يتوجب على نحوها وما هي له أهل من الشكران والمكافأة.

وغاية مناي الآن أن أسهر عليها بدوري فأعدك بأن أتوخى راحتها وهناءها فلا أتي ما يعكر صفو حياتها وأحيطها بكل إكرام وإجلال.

عونك يا الله كي لا أتكلم عن دور الأم في ولادة ابنها الا بالاحترام الواجب فلا اتبذل وأتدنى إلى المزاج السمج السافل الذي أخجل منه أمام أمي كما وأعدك بأن أحول ما استطعت دون أن يتكلم أحد أمامي بمثله.

أنت وأبوك

إنه صورة أبيه

لقد طرفت مسامعك دون شك هذه العبارة ربما كان ذلك في دار للتوليد بينما كانت أمك طريحة الفراش بعد ولادة أخيك أو أختك وإذا امرأة جاءت تهنئ أنك بالولادة وتنظر إلى المولود الجديد فلا تتمالك عند رؤيته من صرخة تعجب : " يا له من طفل جميل أنفه أنف أمه وعيناه عينا أبيه. أنه حقا صورة لأبيه " وتسأل أنت بشيء من الدهشة " ما شأن أبيه في ولادته " فيرتبكون ويجيبون على سؤالك جواب تهرب : " ستفهم ذلك فيما بعد".

لماذا، حالما يجرى الحديث عن دور الأب في ولادة الطفل ترتسم ابتسامة ساخرة على وجوه بعض الصبيان فيأخذون بالهزل والتهريج والغمر والتهامس ؟ لماذا؟ لنه لم يتج لهم قط من تكلم معهم عن دور الأب بكلام واضح جلي صادق اللهجة والاداء فلقد تلقنوا ما يعرفونه عن ذلك من رفقاء بلاء او مفسودين في كلام ناقص غامض ساخر موشى بالنكات الوادع مما أدخل في روعهم أن هناك أسراراً شائنه تدعو الى الخجل ليس من يجسر ان يبوح بها لهم بصراحة في وضح النهار يا لهم من أغبياء أنى لهم أن يدركوا أن الأمر أجل وأسمى مما يخطر لهم ببال وأنهم هنا أيضاً أمام أيه أخرى من آيات الله القدير.

لقد كانت العذراء الطاهرة تعرف هذا الأمر فما كاد الملاك يبشرها بأنها ستصير أما ليسوع حتى سألته مندهشة مستفهمة : " كيف يكون ذلك وأنا لا أعرف رجلاً " لم تكن اذ لتجهل أن للرجل دوره في إنجاب الطفل ولكن لم يكن ليخطر لها ببال أن الله سوف يخرج بها وحدها عن سنة عامة مطلقة لا يستثنى منها كائن بري فيبادر الملاك مفسراً شارحاً :" لا تخافي يا مريم فإن الروح القدس يحل عليك فتحبلين بابن تسمينه يسوع " وهذا يعني أن جسد العذراء سيخصب بمعجزة فريدة من الله فيبدأ جسم المسيح يتكون فيها وينمو.

أما سائر الأولاد فإن الأب يخصب بهم جسم الأم ففي ولادة الطفل لا يقل إذا دور الأب عن دور الأم نبلاً ورفعة وهو مثله محاط بالأسرار.

سنة الحياة

لكل خلية في جسمنا وظيفتها الخاصة أقامها الله لها ومن أهم الخلايا تلك التي تبعث الحياه وتنشئ إنساناً جديداً وهذه الخلايا الخطيرة تسمى الخلايا البذرية أي الخلايا التي تحتوي على بذرة الحياه وجرثومتها.

وأتمم الآن ما أخذت بشرحه لك فأقول : إن كل كائن حي يأتي نتيجة اتحاد خليتين بذريتين الخلية الانثى وتسمى البويضة والخلية الذكر ونسمى السيرماتوزييد.

شأن الانسان في ذلك شأن النبات تماماً وقد رأيت دون شك زهرة جرة الجوز مثلاً كيف أنها تحتوي على نوعين من الزهور : منها ما يتضمن الخلية البذرية الانثى التي تسمى البويضة ومنها ما ينتج غبار الطلع الذي يتضمن جراثيم السيرماتوزييد.

ويهب الهواء، وتتطاير الحشرات، ولاسيما النحلات منها، متنقلة من زهرة إلى زهرة فينتقل عيار الطلع بواسطتها الى الخلايا الانثى فما أن يتخذ واحد من السيرماتوزييد بواحدة من البويضات حتى يتم التلقيح وتتكون الثمرة.

هذه السنة الطبيعية العجيبة التي يتمشى عليها عالم النبات هي نفسها يتمشى عليها عالم الانسان فيأتي كل من الرجل والمرأة بخلية بذرية حية ينشأ الطفل من اتحادها في أحشاء الأم.

أما الأعضاء التي تنتج هذه الخلايا البذرية فتدعى بالأعضاء الجنسية أو الأعضاء التناسلية ولا غضاضة من التكلم عنها هنا لأن الله نفسه قد أوجدها كما أوجد غيرها من أعضاء جسم الانسان.

لا تنسين ما قلته لك أنفاً من أن الأم مزودة الأعضاء الدقيقة وأهمها المبيضان ففي كل شهر ينتج أحد المبيضين خلية حية تسمى البويضة تتسلل إلى الرحم وهو المخدع الذي تمكث فيه ملتصقة بأحد جدارته.

فإذا تم تلقيح البويضة – وسنشرح فيما بعد كيف يتم التلقيح – فإن الثمرة تتكون ويبدأ الطفل بحيا وينمو إلى أن يبلغ الشهر التاسع فيغادر جسم أمه مارا بقناه المهبل.

أما إذا مضت على البويضة مدة ولم تلقح فإنها تترك مكانها من جدار الرحم ثم يلفظها المهبل الى الخارج مع ما يلفظ من الدم، وهذا ما يسمى بالحيض أو اطمث ولا يمر الحيض عادة الذي قد تطول مدته أو تقصر دون أن يحدث في الصحة توعكا قد يبلغ درجة تشتد فيه أوجاع الرأس ويغزر نزيف الدم وترتفع الحمي.

يحدث الحيض للأم أو للفتاه مرة واحدة في كل شهر ويبدأ جس الفتاه بإنتاج البويضات حوالى الثالث عشرة وإذا ما لاحظت أن أمك أو أخواتك هن في حالة غير عادية من التعب والنزق وتوتر الأعصاب فكن معهم لين الجانب تداري عواطفهن ما استطعت لئلا تريد في أوجاعهن.

من الفتيان من يجهلون هذا كله أو يتجاهلونه فلا يتخذون لهذا الموقف عدته. وبينما تراهم يتبجحون بأنهم يعرفون كل شيء اذا بهم أكثر الناس جهلاً ولبسوا سوى أنانيين لا يطاقون.

وللرجل أيضاً أعضاؤه التناسلية التي يحملها على خلاف المرأة في ظاهر جسمه وهنا أعيد عليك ما قلته من أن هذه الأعضاء هي أعضاء طاهرة بذاتها وحسنة كغيرها لأن الله خلقها وزود بها الانسان لغاية شريفة جليلة فلا ضير اذاً أن تتكلم عنها دون ما اضطرب بأعصاب هادئة وبكلام رصين كما لو كان الحديث عن حاشة النظر أو السمع.

تتألف أعضاء الرجل أولاً من كيس فيه الخصيتان أي البيضتان ووظيفة الخصيتينان تفرزا سائلاً تسبح فيه الملايين من السيرماتوزييد ويجري هذا السائل في الممر البولي الممتد داخل القضيب الذي هو عضو بولي الممتد داخل القضيب الي هو عضو بولي وتناسلي في آن واحد،

وهان أبدي لك ملاحظة، وهي أنه قد حان لك أن تتعلم من هذه الأعضاء أسماءها العلمية الصحيحة، وتهمل ما سواها من الكلمات والتعابير الصبيانية الناقصة.

أعوان الله

إليك الطريقة التي بها يشرك الله لأبوين في عمله :

لكي ينجب الأب ولداً يبدأ أولاً فيضع داخل أحشاء الأم في المهبل من حيث سيخرج الطفل يوماً الي النور نطفة من ذلك السائل الذي تفرزه الخصيتان وفيه ما نعلم من جراثيم السيرماتوزييد فإذا ما التقت جرثومة منها ببويضة وهي بعد قابلة للتلقيح — ومدة قبول البويضة للتلقيح لا تتعدى أياماً معدودة — فإنه ينشأ من اتحاد الخليتين الحيتين خلية واحدة هي البويضة الملقحة التى تأخذ منذ تلك اللحظة تنمو وتكبر داخل جسم الأم.

لا تتلقح عادة، في آن واحد، الا بويضة واحدة ينشأ منها طفل واحد وقد يحدث أن تنسم البويضة إلى قسمين أو أن يكون هناك يويضتان فتتلقحان كلاهما وينشأ منهما ولدان نسميهما بالتوأمين وقد يحدث أن تتلقح بويضات ثلاث أو أربع فينشأ منها أولاد ثلاثة أو أربعة إلا أن ذلك من أندر النوادر وأعجب العجب.

وإذ يتصل الرجل بالمرأة ليضع في جوفها السائل الحيوي المسمى بالمني فإنهما يتجامعان ويتحدان في عمل جليل بيدي فيه الواحد منهما للآخر أعظم الحب وأشرفه فيقومان عندئذ بما هو حسن صالح وإن لم يحصلا من عملهما المشترك على الولد الذي سعيا اليه.

إن هذا الاتصال لعمل أقره اله منذ ما خلق أبوينا الآولين في الفردوس اذ أوصاهما قائلاً :" انموا واكثروا " ونسمى هذا الاتصال بالاتصال الجنسي أو المجامعة لأنه يجمع بين الجنسي والكتاب المقدس يتكلم عن هذا الاتصال بعبارة تقدير واستحسان قائلاً :" ويكونان اثنين في جسم واحد".

إلا أن هذا الاتصال لا ينبغي أن يتم إلا بين اثنين قد ربط فيما بينهما عقد الزواج لشرعي المقدس وإلا كان ذلك خطيئة زنى جسيمة.

ذلك هو سر التناسل وليس بأدل على رفعته وقداسته من أن اللّه نفسه يشترك فيه كثالث فله فيه يد مباشرة اذ يخلق النفس الانسانية من العدم، ينفخها في الكائن الجي في الحظة التى نشأ فيها في رحم الأم عندما تلقحت البويضة الانثى بجرثومة الذكر.

ليس من ضير كما رأيت في التكلم عن هذه الأمور إلا أن بعضهم يتكلمون عنها بكلمات بدئيه وتعابير سافلة وإنه لمن المؤلم حقاً أن نسمع بعض من هم في سنك يتكلمون عن التناسل وعن الولادة بكلام ينم عن انحطاط في الأخلاق وعن جهل للحقيقة فأحذرهم ولا تضع إلى ما يقولون ولا تتلفظ بمثل ما به يتلفظون بل انظر اليهم نظرتك إلى أغبياء جهلة وإلى أشقياء مساكين.

سر الزواج

إن العقد الذي يقترن به المرأة فيصبحان اثنين في واحد قد رفعه المسيح إلى درجة سر من أسرار الكنيسة وهذا دليل على أن عمل الرجل والمرأة الذي به يشتركان مع الله في اعطاء الحياه لعمل شريف جليل.

وكما أن الكاهن يتكرس بسر الكهنوت لرسالته المقدسة كي يعطي بها الحياه الروحية هكذا يتكرس العروسان الواحد منهما للآخر بشر لزواج كي يعطيا به الحياه الجسيمة.

ولكا كانت الأسرار إنما وضعت لتمنح النعمة في شتى ظروف الحياه فهل من عمل أخطر وأهم يستدعى نعمة الله من العمل الذي عزم به الوالدون على انجاب طفل لهم ؟ فالأم تعلم ما سيكلفها هذا الطفل من عذاب وهموم والأب يعلم ايضا ما سيضع هذا الطفل على عاتقه من أعباء جديدة ومع ذلك فإنهما يقدمان على هذا العمل آملين بنعمة الله واثقين من عونه وحق لهما أن يعتمدا على الله لأنهما عندما يتحدان بجسميهما لإنجاب طف فإنهما يأتيان عملا يزيدهما من الله تقربا وبه اتحادا لأنهما به يتممان إرادته تعالى.

الفرق اذا شاسع بين ما نقوله نحن هنا عن هذه الأمور وبين ما يقوله عنها بعضهم من الذين يرون في اتصال الجنسين عملاً حيوانياً صرفاً وموضوعاً طريقاً للتندر والمزاج.

مقام الأب

يا لفرح الأب يوم يحمل طفله بين ذراعه لأول مرة وهو يقول : " إنه ابني لقد أنجبته أنا وبدوني ما كان ليولد وبواسطتي أعطاه الله نفسا خالدة تؤهله لمشاهدته يوماً وجهاً لوجه ولأجل هذا الطفل الذي خرج مني مات المسيح لكي يكسب له السماء أفلا أكون كفؤا لهذا الشرف جديراً به؟".

موعدك قريب أيها الشاب يدعوك الله فيه إلى إعطاء الحاه وليس فقط الحياه الجسيمة بل والعقلية والأدبية والروحية فلا تنس ذلك لأنك لن تعطى إلا من فيض ما تملك.

فالأبوة تنتظرك والله يدعوك إلى مشاركته في عمله في إتمام الخليقة وإنمائها وتحسينها فكن اليوم ما تريد أن تكونه إذا ولك من وصايا الله عون ومرشد ورادع.

فاحفظها تنظم حياتك وتكبح جماح أهوائك إنك صاحب أمرك وسيد نفسك فإذا شئت سموت وارتفعت وإذا شئت انحططت وسفلت.

الثلاث الأولى من الوصايا تلخص بما يلي : " أحب الله، واحترم اسمه واحفظ يومه " ومن لا يحترم الله لن يحترم الانسان ولن يحترم نفسه.

وفي الوصايا الباقية يرسم الله لك الطريق لكي تسير في الحياه على هدى من أمرك ففي الرابعة يأمرك بأن تكرم والديك وهما مصدر حياتك والقائمان من قبل الله عليك وفي الخامسة يأمرك بأن تحب الناس وتحترمهم وفي السابعة والعاشرة يأمرك بأن تحترم مال الغير وفي الثامنة أخيراً بأن تحترم الحقيقة التي لا تقوم بدونها حياه جديرة بالإنسان.

ترى مما أن المحبة والاحترام أساس الديانة وعمادها ولا يختلف الأمر فيما يتعلق بالسادسة والتاسعة فإن الله يأمر بهما أن نحترم الجسد وما في الجسد من طاقة وقوة لاستعمالهما في سبيل الحب الصحيح لإعطاء الحياه وعلينا أن نقف من الحياه الجنسية موقفاً نبيلاً فنحلها محلها من الاعتبار وإن كانت في الدرجة الثانية نبني بها شخصية لنا كلمة الانسانية.

فعليك إذاً أيها الفتى أن تكون طاهراً في أفكارك وأقولك وأعمالك ماسكاً بزمام أهوائك نقودها ولا تنقاد لهما كما وعليك أيضاً أن تعد نفسك للاضطلاع بمسؤوليات الرجل يوماً ذاكراً القول المأثور : العقل السليم في الجسم السليم.

صلي لأجل أبيك

أبانا الذي في السماوات يا من وهبت أبي على الأرض أن يشترك معك في الأبوة في إعطاء الحياه فأنا مدين له كما والدتي بالحياة وبأحسن ما في الحياه ولذا ففضله على لا أنساه.

أراني لا أبالي كثيراً بما يساوره بسببي من الهموم ولا أفك أعتبر ما يبذله في سبيلي من التضحيات أمراً واجباً لا شكر له عليه.

اللهم ! أرني ما له على من أفضال ومن أياد بيض حتى لا أكون لها ناسياً وحتى أبذل ما بوسعي لإرضائه قائماً بما يتوجب على من عمل يومي ومن محبة وشكران كي يرتاح هو لعمله ويسعد كما أرتاح أنا لعملي وأسعد.

أنت وجسدك

إن السنين التي تعيشها الآن لأهم سنى حياتك فلقد ولجت من العمر حقبة ينشأ فيها الرجل القوي وأخذت إحساسات جديدة ورغبات مبهمة وأهواء وأميال تختلج في نفسك وتصطخب وتنازعك دون أن تدري من أمرها شيئاً.

أخذ يصعب عليك مثلاً أن تطيع في البيت ذويك، ولاسيما إذا كانوا لا يزالون ينظرون إليك نظرتهم إلى حدث صغير، بينما أنت لا تتردد لحظة في الخضوع لرئيس لك في فرقة الكشاف أو في غيرها من منظمات الشبيبة.

وتجد اليوم لذتك في الاختلاط بالناس ومعاشرتهم وغدًا تميل إلى الوحدة والانفراد. تفيض هذا الباح حناناً نحو كلبك الصغير تغمره بالملاطفة وتشبعه تمسيداً وعند المساء يخطر لك فجأة أن ترفسه برجلك رفسة يعوي لها وينتحب تدعي أنك لا تجد من يفهمك وأنك تبحث دون جدوى عن صديق يشاطرك أشجانك ويفرج كربتك ألا بحقك قل لي أنت الذي لا تجد من يفهمك هل تفهم أنت نفسك ؟ هل تقرأ بوضوح ما ينطبع فيك من الاحساسات وما يجرى فيك من الحوادث وما تتقلب فيه من الأحوال ؟ إنك تشعر أن شخصاً جديداً لا عهد لك به ينشأ فيك ويتكون فتهتم له وتقلق لمصيره لا يهدأ لك بال في شأنه ولا يقر لك قرار أما خلو البال وصفاء الضمير وسلامة الطويلة وسكينة النفس فهذه كلها قد هجرتك وتركتك مضعضع الشأن منغص العيش في كل جانب.

وإذا بتجارب جديدة ضاربة تهاجمك وقد تكون قضيت معها ساعات مظلمة وأوقات صعبة وقد تكون قد انسقت اليها.....

ثق، يا بني، ولا تخف. وها يد المساعدة أمدها لك في هذه الصفحات.

منبع الرجولية

لقد سبق لنا أن وصفنا الخلايا البذرية التي بها تنشأ الحياه وتنتشر إلا أن لهذه الخلايا دوراً آخر يجهله أكثر الشبان : إنها تفرز مع الجراثيم الحيوية مواد اخرى يطلق عليها العلماء اسم " الهرمونات الجنسية" وهي تنصب في الدم وتتغلغل في الجسم تسري في كل أجزائه تحدث فيه مع الزمن تغييرات هامة فيها يتغير صوت الطفل اذ يخشوشن وينخفض ويستقر وبها ينبت للفتى الشارب واللحية، الشارب واللحية بهما يزهو أول الأمر ثم لا يلبث أن يستقل ما يترتب عليه من حلقهما كل يوم.

وإذا ما طرأ على هذه الخلايا طارئ فتعطلت في سني البلوغ وتعطلت فإن الفتى لن يبلغ بدونها درجة الرجولية الكاملة.

ولذا فالطبيب يتعهد نمو هذه الخلايا في الفتى باهتمام خاص، حتى اذا وجد أنها لا تنمو نمواً طبيعياً أو أنها لم تنحدر الى الكيس فإنه يلجأ لتدارك كما ينتج عن ذلك من تقصير في النمو يتناول الجسم والعقل على السواء إلى عملية جراحية بسيطة أو إلى علاج ملائم ناجع تعود بهما الخلايا إلى ما يجب من النمو الطبيعي.

يدل ذلك كله على ما لهذه الخلايا من الأهمية ولا غرو فإنها منبع الرجولية.

تنمو الأعضاء التناسلية وتتطور كسائر أعضاء الجسم فما يكاد الفتى يلج عتبة المراهقة حتى يشعر بما لا يفقه معناه من أحداث ومفاجآت غريبة كأن يشعر مثلاً بالعضو الذكر الذي يتكون من عضلة جوف يتضخم أحياناً ويحتقن دماً ويشتد هذا أمر طبيعي يحدث لكل فتى وان لم يفعل ما

يسببه وأكثر ما يحدث أثناء انفعال عاطفي أو تدريب رياضي وق يحدث لك أيضاً في أثناء تعهدك جسمك بالتنظيف.

فلا تجرع واترك الحادث وشأنه لا تلتفت اليه ولا نعره بالاً صارفاً أفكارك عنه إلى ما سواه إلى أن تعود الأمور من تلقاء ذاتها إلى مجاريها.

وهناك أمر آخر يقلق بال الفتيان ولا يجسرون على البوح به لأحد اذ يظنون أنه مرض مبتلون به فقد يفيقون فجأة من نومهم فيجدون أن سائلاً قد جرى في أثناء النوم من أعضائهم على أثر أحلام وغيرها من تأثيرات هل أتوا خطيئة ؟ هل هم مبتلون بمرض ؟ كلاً لا هذا ولا ذاك إن ما جرى لهم الأمر طبيعي يجري لكل فتى في عنفوان الصحة ذلك هو الاحتلام أو الاستنوام وهو لا يتلف عما يحدث مع الغدد اللعابية في الفم فكثيراً ما يفرز فجأة لعابنا ويسيل حتى نضطر إلى بلعه لماذا أخذت الغدد في الفم تفرز فجأة لعابنا بهذه الغزارة ؟ ها بعينه يحدث للغدد البذرية.

فإنها تفرز الهرمونات أكثر مما يستوعب الجسم فتفرغ الأعضاء أثناء النوم ما يفيض عن حاجة الجسم مما تختزن به منها فلا تضطرب إذاً تضطرب إذا لذلك واترك الطليعة تعمل عملها وقل لنفسك : " لقد طور الرجولية وقد وضع الله بين يدي طاقات واسعة وسأستخدمها كما يجب . وبعونه تعالى سأقمع أهوائي وأكون سيد غرائزي لا عبدها".

احترم جسدك

أحسن ما يتجلى به الشاب الحشمة والحشمة تقوم بأن يحترم المرء جسده وخاصة ما تستر من أجزاء جسده فهي أجزاء دقيقة التركيب، شديدة الحساسية كالعين مثلاً وكما أنك لا تمد إلى

عينيك يداً دون ما ضرورة هكذا لا تمد الى هذه الاجزاء من جسمك يداً دونما ضرورة فلا تضع مثاً يديك في جيوبك لأن في هذا الوضع ما يهتج ويثير.

وعندما ترقد في فراشك ألزم بيديك القسم الاعلى من جسمك ولا عجب ان تساور المرء التجارب اذا ما عمد لغير داع الى لمس أجزاء من جسمه هي من الحساسية على ما ذكرنا أنها سريعة الاستثارة والتهيج وبتهيجها تلتهب المخيلة. وتتوارد الأفكار الشيئة وتثور الشهوات الجامحة.

إلا أن هذه الحشمة لا ينبغي أن تتعدى الحدود، فتضيق عليك الخناق وتحصي عليك الحركات والسكنات فللنظافة عليك واجبات تستدعي أن تأخذ لها بما تفرضه من أعمال قد تحدث في جسمك بعض الاحساسات فلا تقلق لأنك لم تشع اليها بل جاءت على غير قصد منك فإنك لم ترتكب بذلك خطيئة.

كما أنك لم ترتكب خطيئة اذا ما شعرت بمثلها من الاحساسات في التمارين الرياضية أو في أثناء السباحة أو وقت الرقاد مما لم تستثره أنت ولم ترده.

وهنا أكرر عليك القول بأن هذه الاجزاء من جسمك ليست بأجزاء قبيحة رديئة وليست دون سائر اعضاء جسمك قدراً وشأنا وهو الله الذي أوجدها فيك فليست مما يستهان به ويستحى منه وإن تلك الأم التي تحدر ابنها من هذه الأعضاء قائلة بأنها أعضاء قبيحة مخجلة لهي على ضلال وسيكون لكلامها هذا في نفس ابنها أسوأ الأثر وأبعده.

وقد يحدث لبعضهم أن يشعروا بحكة في هذه الأعضاء اللطيفة من الجسم رغم ما يحيطونها به من نظافة كاملة وهذا ما يقلقهم ويسلب راحتهم فأقول لهؤلاء : لا تضطربوا ولا ترتاعوا فالأمر من البساطة بما لا يستدعى مثل هذا الوجل ففي راس القضيب تحت الجلد تفرز بعض الغدد سائلاً قد يكون غزيراً عند البعض كما يحدث للغدد التي في رواق الأذن وهذا السائل متى جف تحجر وصعب إزالته فيسبب الحكة المذكورة فإذا كان هذا شأنك فعليك بالطبيب عله يأتيك بمرهم

يلطف ما بك أو يسهل لك وسائل التنظيف بعملية جراحية بسيطة فيزول بذلك أكثر ما تعاني من صعوبات.

لا تكتم ما يساورك من هم وقلق لمثل هذه الحوادث ولا تحتفظ بسرك. بل بح بأمرك لمن يأمل منه النصح والارشاد ولشد ما ستندهش عندما تعلم أن ما يحدث لك إنما هو أمر طبيعي عادي فيهدأ عندئذ بلبالك وقد كنت على وشك أن تعتقد كالكثيرين من أمثالك أن ما تعانيه في هذا الصدد إنما هو مرض فريد من نوعه للم يبتل به أحد قبلك صرت من جرائه عليلاً معتوهاً أثيما، شقياً .

الغرائز واللذة

عندما دعانا الله إلى المساهمة معه في إعطاء الحياه زودنا بطاقات وإمكانيات واسعة وبغرائز وأميال . فإذا بنا نندفع بقوة هذه الغرائز إلى بعض الأعمال اندفاعاً .

فنندفع بغريزة حيق البقاء إلى أن نأكل ونشرب وننام ونكافح ونندفع بغريزة حفظ النسل الى القران وايلاد البنين وأكثر الغرائز شأنا هي دون منازع غريزة البقاء وغريزة التناسل. والرجل الرجل من يسيطر على غرائزه فلا تعمل إلا على ما يريد وتظل خاضعة لإرادته طوعاً لأمره ونهيه.

وليس الله بالسيد القاسي الذي يشدد في أوامره ولا يحاسب عنها إلا في الآخرة فإنه لكي يحث الانسان على استخدام غرائزه ويسهل له أمرها ويكافئه على الفور عن كل عمل يستجيب به لندائها فقد قرن فيها اللذة بالعمل بل هو العمل ذاته يولد مكافأته من اللذة.

فالأكل مثلاً لا نجد فيه من مشقة وعناء لا بل أمام المأكل اللذيذة يسيل اللعاب ويتلمظ الفم. هي غريزة التغذية تدفع بالإنسان إلى الأكل بشهية ولذة فإذا أكلت بشهية وشعرت في الأكل بلذة فلا

تقترف بهذا العمل الطبيعي المشروع من خطيئة إنما الخطيئة أن توصل الأكل وقد اكتفيت منه وشبعت بدافع من الشراهة والنهم غير حاسب لغيرهما من حساب فهذ ما يحط بالإنسان الى دركة الحيوان معاذ الله ! فإن الحيوان لا يفرط في الأكل ولا يتعدى فيه حدود حاجته هل يأكل الكلب بعد أن يشبع ؟ وهل يشرب الحمار بعد ان يرتوي ؟ فالرجل الذي تستبعده غرائزه يسفل الى درجة أحط من درجة الحيوان.

وهذا شأننا مع سائر الغرائز الحيوانية، فإن اللذة تقترن فيها العمل.

إليك بعض الأمثلة عن ذلك : ألا تشعر بلذة عندما تقع على مشهد جميل من مشاهد الطبيعة ؟ إنها اللذة في شكل الروعة والاعجاب أولاً تشعر بلذة عندما تتوصل الى حل مسألة حسائية صعبة ؟ إنك تفرك يديك طرباً وتكاد ترفض وأنت تنظر الى الجواب المنشود إنها اللذة أيضاً يشعر بها العقل الذي بلغ غايته من الحقيقة.

وهكذا الأمر مع سائر غرائز الانسان.

من البديهي أن لا تختلف الغريزة الجنسية في هذا الأمر عن سواها من الغرائز ففيها من اللذة بمقدار ما لها من الأهمية أي أن اللذة أقوى فيها أشد مما في غيرها.

لأن عليها يتوقف بقاء الجنس البشري ولهذه الغريزة مظاهر متعددة : منها الجاذبية التى تجذب اثنين الواحد نحو الآخر لتحقيق اتحاد تام بين نفسيهما وجسديهما يتعاونان به على الحياه ومنها التناسل اذ يعمل الشخصان على انجاب النسل وايلاد البنين وقد أراد الله أن يعلق على هذا العمل الذي يدفع اثنين الى التزاوج وإلى الاتحاد الجسمي لذة حسية وهي متعة عميقة تغمر النفس والجسم معاً .وليس من ريب أنها لذة سليمة طاهرة صافية والزوجان اذ يتمتعان بها إنما يتمتعان بخير يأتيهما من يد الله.

هذا الميل وهذا الحب وهذا الرغبة وهذا السعي المبهم نحو لذة نستشفها هذه كلها تنشأ في كل فتى في أوانها إنها لطاقة جديدة تزخر في قرارة كيانه إنها طاقة طبيعية حقة تفيض قوة ونشاطاً .

لقد شبه أحد العلماء هذه الغريزة بسيل ينحدر من الجبال فإذا ما نظم الانسان سيره وأحاطه بالحدود والسدود وسيطر عليه فإنه يسيل نافعاً يروى ما حوله ويأتي بخير وافر أما اذا أفلت من يده وجمح فإنه يجرف ويقتلع ويخرب لا يبقي ولا يذر.

هل تعرف ما هو السد هل رأست سداً من السدود ؟ هذه الساقية الجميلة تسيل مياهها بين الصخور تقفز وتزيد على هواها لا زائدة منها ترجي ولا خير وإذا بهم يبنون علها سداً فتأتي المياه المتلفتة تتكشر صاخية على السد ثم لا تلبث قوتها أن تخمد وتنشأ وراء السد بحيرة كبيرة هادئة صافية الأديم تخزن المياه وتصرفها بانتظام في أنابيب وقساطل الى دوارة في الوادي فتدور الدوارة بسرعة هائلة وتولد الكهرباء للمنطقة وبعد م كانت الساقية تسبيل دون جدوى ضائعة بين الصخور إذا بها تقدم الآن الى الانسان أفضل الخدم.

تخيل الآن ! قنبلة أطلقت على السد فدمرته فإذا بمياه البحيرة وقد كانت قبل لحظة كالمرآة تنصب كالشلال إلى الوادي لعميق تجرف كل ما يعترض طريقها من بشر وحيوانات وبيوت فإذا الساقية التي كانت نعمة وخيرا تنقلب منذ أن أفلت من يد الانسان زمامها كارثة مريعة.

مثلها الغريزة الجنسية قوة وطغياناً فإذا ملكت زمانها كنت لك أطوع من بناتك تقوم على خدمتك وتوليك الصحة وتنفحك العزم والقوة إما اذا تركت لها الحبل على الغارب فيأتي يوم وإذا بالغريزة تجمح وتثور فتسبب لنفسك ولجسمك من التدمير والخراب ما لا يوصف.

التفريط بالقوى

لقد علمت، مما سبق أن الله أجاز استخدام هذه القوى داخل حدو الزواج. وأن الاستمتاع بما يرافق عملها من لذة رحية وجسمية لأمر صالح لا غيار عليه.

لأنها متعة يمنحها الله لخلائقه مكافأة نقية صافية.

أما استخدام هذه القوى خارج نطاق الزواج فهو خرق لحدود الله وعبث أثيم بهذه القوى لأن الله لم يمنحنا اياها لنستمتع بها على هوانا دون قيد ولا شرط.

فإذا ما أخل الفتى بنظام هذه القوى وعبث بها وأساء استعمالها فإنه يقترف ذنبا يجب أن يعترف به في منبر التوبة قائلاً أنه أخطأ ضد الطهارة أي أنه هيج أعضاءه وأثارها مستلذاً فسأل منها السائل المنوي ضائعاً إنها العادة السرية أخذت تعيث في منبع الرجولية فساداً لد سعى هذا الفتى وراء اللذة — تلك التي سرعان ما تنقلب فرقاً — فأخذ يبدد قوى للجسم ليس بغنى عنها لاستكمال نموه واشتداده.

لا تضع اذاً لما يقوله بعض الرفاق من أن هذا الفعل ليس بذي شأن ولا يأتي بضرر وأنه من الضروري تعاتبه لأنهم لا يدرون ما يقولون وقد يدرون الحقيقة إلا أنهم يقولون ذلك يكي يبروا مسلكهم الشنيع فيجروا غيرهم وراءهم الى الرذيلة.

أما الحقيقة فهاكها : اذا ما انقاد المرء إلى هذه العادة وأدمنها فإنه يلحق بنفسه ضرراً جسيماً قد لا يبتلى بمرض وقد لا يحرم من الطاقة على انجاب البنين لكنه لا يلبث أن يصبح من الأنانية والأثرة بحيث يتعذر عليه الانكباب على عمل جدي والانصراف اليه فتعاف نفسه كل أنواع

الرياضة البدنية ويرجع القهقري في كل ميادين النشاط والعمل وهو نيوء تحتها كأنها حمل من رصاص ويشتد عليه وخز الضمير، ويفقد ثقته بنفسه ويصغر شأنه في عينيه.

وإثباتاً لقولنا هذا نأتي ببعض الأمثلة نأخذها من أثمة الكتبة من أولئك الذين ذهبوا في الضلال كل مذهب ثم آبوا راجعين تائبين.

هذا فرانسوا كوبة يقول : " هي أزمة المراهقة، وما ينشأ عنها من خجل وحياء يحولان دون الاعتراف بها، قد قادتني إلى خلع العذار، ونبذ الدين وان معظم الذين ساروا على هذا الطريق ليقرون إذا ما كانوا مخلصين، بأن السبب الأصلي لابتعادهم عن الديانة إنما كان تلك الشريعة الشديدة التي تفيد بها الديانة شهوات الجسد وأهواءه أما ما يتذرعن به من الحجج العقلية والفلسفية فقد أتوا به بعد ما خلعوا عنهم نير الشريعة وتحرروا من قيودها."

وهذا بول بورجه يقول :" لا يتحرر المرء من كل قيد ديني إلا لأنه تحرر أولاً من كل قيد أدبي فالإلحاد لا يتطرق إلى قلوب الفتيان إلا على أثر سقطات من الدنس لم يجسروا على الإقرار بها في منبر التوبة. أما الحجج العقلية فإنهم يبحثون عنها بعدئذ ، ليستروا بها خزيهم ويبرروا بها موقفهم".

وهذا لويس برتران يقول : " تتكرر حياة القديس أوغسطينوس في حياة كل منا. فمن يفقد الإيمان إنما يفقده في سن تفتح الحواس. فهو الحسد الذي يصرف الشاب عن الله، لا العقل. أما الأعذار والحجج العقلية فإنها تأتي بعدئذ، فتكون بمثابة تبرير للمنهج الذي أخذ ينهجه".

وشر الأمور أن يتصور الفتى بأنه لم يبق له لما وقع فيه من خلاص فأقول لذلك الفتى اليائس بأنه لعلى ضلال في تصوره هذا. فخلاصه مما وقع فيه ممكن مستطاع.

وإليك ما كتبه إلى أحدهم : " لقد فسدت أخلاقي فاستسلمت للعادة السرية وأنا في الرابعة عشرة من عمري وإذا بمحضرتك تفتح عيني على ما أنا فيه من سوء الحال. فأخذت أكافح هذه العادة

حتى تغلبت عليها بعد ما تملكتني عدة سنوات . فشعرت كأن حملاً ثقيلاً قد سقط عن كتفي. وصرت حراً طليقاً ".

ما أهون الانجراف بتيار الشهوة الدنسة، فهناك الغرائز تدفعك إليها دفعاً دون أن تعاني عناء ، وتبذل جهداً .

إنه الانحدار، ما أسهله. أما أن تظل سائراً في جادة الفضيلة أو أن تعود بعد ضلال، إلى محجة الصواب. فتلك البطولة بعينها. فلا مناص لك إذاً لكي تتوصل الى ضبط النفس، من كفاح شاق متواصل وتصير عندئذ رجلاً.

كفاح نبيل

لا فوز دون كفاح. أما النيات والرغبات الطيبة. فلا طائل تحتها. ويجب إذا أن يجب إذا أن تعلنها حرياً عواناً لا يخمد لها سعير، تتأجج نارها يوماً بعد يوم، دون هوادة.

من الشبان من يكافحون في سبيل الطهارة، ولكن دون جدوى فهل من سبب لفشلهم ؟

أرى لفشلهم سببين : السبب الأول اليأس والقنوط.

فإنهم لا يفرقون بين التجربة والسقطة فالتجربة تساورنا وليس لنا فيها من يد وليس لإدارتنا فيها من حيلة.

ولذلك فلا ذنب لنا فيها ولم يخل أعظم القديسين من تجارب كانت أتبع لهم من ظلهم مدة أيام وليال.

وقد تفهم ما هي التجربة إذا ما شبهناها بالذباب الذي يتطاير حولنا. فهل من ذنب نقترنه إذا ما قام الذناب بمهاجمتنا ؟ وكذا القول عن التجارب فلا ذنب نقترنه إذا ما هاجمتنا . إنما الذنب أن نصغي إليها، ونستجيب لندائها.

أما الذنب كل الذنب فإن نسعى وراء التجربة، ونستثيرها، ونطلب اللذة منها. فمن دهن وجهه العسل يستهدف لهجمات الذباب. وهكذا من عاشر رفيق السوء، وملأ بيته قصصاً ومجلات خلاعية، ومن انتقى من أفلام السينما أسوأها، فإنه يستهدف لهجمات التجارب، لا بل يستثيرها ويتحدّاها، فيذهب طعمة لها.

والسبب الثاني للفشل : الجهل لوسائل ضبط النفس وحفظ الطهارة.

هناك الوسائل الطبيعية : وأولها أن تبعد عنك التجربة، وتتحاشاها. ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا إذا أتيت بفكرة غيرها تلهو بها عنها ، فتدحرها لتقوم مقامها.

إليك بعض الأمثلة على ذلك: إنك منكب على كتبك تدرس وتكتب وإذا بالتجربة تنتصب أمامك في لحظة سهو أو حلم. فتشعر أن همتك قد فترت، وأن الكتاب لم يعد يستوعب انتباهك. جل عندئذ جولة في غرفتك أو قم ببعض الحركات الرياضية، أو أجلس برهة أمام البيانو، أو قم بأي عمل آخر يحرّك دمك، ويروّح عنك، ويهدّئ أعصابك.

لكنك تعترض، قائلاً إنّ الخواطر والتصوّرات ترتادك، أكثر ما ترتادك، في السماء. حول عندئذ أفكارك إلى ما يروق ويبهج. ابعث في ذاكرتك مثلاً شؤون المدرسة، واللعب والرفاق، والأهل، بحيث تنصرف بذهنك إليها فهي دنيا تعجّ بأشخاصها، وحوادثها، ومفاجآتها.

وهي لا تلبث أن تلهيك عمّا يطرفك من دواعي الخطيئة، وتأخذ بمجامع قلبك بما تعرضه أمام عيني مخيلتك من مظاهر الحياة ومباهجها. عش هكذا لحظات حلوة في دينك هذه، دنيا الذاكرة والخيال، تنس كل ما سواها ، فتنام نومًا هادئاً على صور حلوة لا تنغّص عليك أحلامك.

والوسيلة الثانية من الوسائل الطبيعيّة للنجاح في الكفاح، أن تتشدد، وتتسلح بالحز والعزم، وتصمد لهجمات العدو بقوة وشجاعة. ولكي تتمرّس بذلك عليك أن تبدأ بالأمور الصغيرة التافهة، تكبح بها جماحك، وتنتصر بها على هواك.

لا تستطيع، ولا ريب، أن تسير في الشارع مغمّض العينين، مطرق الرأس. لكنك تستطيع أن تمرّ أمام دور السينما دون أن تلتفت إلى الصور والمشاهد المعروضة في واجهاتها. وتستطيع أن تنظر بخفر وحشمة إلى هذه أو تلك، فلا تتصفّح الوجوه، ولا تحدّجها بنظر فاحص لا يخلو من وقاحة.

وإذا كنت في البيت فالفرص الملائمة كثيرة، والظروف لتوطيد قدمك في الفضيلة متوفرة، والسوانح لتقوية إرادتك عديدة. ومن أمثال ذلك : إنك تحبّ أن تقفز على درجات السلم أربعًا أربعاً . لا بأس ولكن من وقت إلى آخر خذ بصعود السلّم درجة درجة، بهدوء أعصاب وسكينة، ليس إلا لأنك عزمت على ذلك وأردته ... وردتك رسالة من صديق لك تنتظرها بفارغ الصبر. لا تسرع بفضها ، بل ضعها في جيبك مدة قبل أن تقرأها كي تتثبّت من صدق عزيمتك وقوّة إرادتك .... إنك تطالع قصة لذيذة، وقد سلبت وقائعها لبّك، فسولت لك نفسك بالتهام الصفحات الباقية التهاما أو بتخطّيها للوصول إلى الخاتمة، ومعرفة النتيجة.

اضبط شواعرك، واحتفظ برباطة جأشك واغلق الكتاب، واترك القراءة ساعة أو ساعتين تتشدّد عزيمتك، وتمتلك زمام أمرك ... أمّك في غمرة من أشغالها ، تتطلعّ إلى مَن يساعدها. اترك ما أنت فيه من عمل، وبادر إلى مساعدتها، وكرّر ذلك ما استطعت....

من الشبان من أخذوا يدمنون التدخين، فالسيكارة تلو السيكارة، حتّى كبلتهم العادة بقيودها فأصبحوا لها عبيدً أرقّاء . كيف يقوى من هذه حالة من التدخين، على ضبط النفس، وكبح جماح الأهواء في ما سوى التدخين من الأمور الصعبة ؟ هل أنت من هؤلاء ؟ خذ السيكارة التي تلتهب شوقاً إليها، فلا تشعلها إلا بعد ساعة أو ساعتين . حاول ذلك ، وحاول ما هو أفضل ، حاول الاقلاع عنها. هل يستطيع ؟

والوسيلة الثالثة للنجاح في الكفاح، الشغل. هل أنت في عداد المجتهدين في المدرسة، الذين لا يهدأ لهم بال حتى يتمّوا ما عليهم من درس وكتابة دون أن يدفعهم المعلم إلى لك بقصاص أو بمكافأة بلوم أو يتحريض ؟

هل تستبق استعدادات الفحص، فتراجع من تلقاء ذاتك هذه أو تلك من المواد، ولاسيما تلك التي تستصعبها أو تكرهها ؟ وعندما تعطى بعض الدروس الحرّة هل تكون أنت أوّل المتهافتين عليها، المستفيدين منها ؟

وأسالك بنوع خاص : كيف تقضي أوقات فراغك ؟

هل أنت قادر على تخصيص جزء منها لعمل عقلّي، أو لتعلم مهنة يدويّة فإذا أردت أن تظل طاهر السيرة، وتنشأ رجلاً فعليك ببعض الهوايات مارسها بشغف ولذة كي لا تذهب أوقات فراغك في ما لا طائل تحته من لهو محرّم أو أحلام جوفاء. لديك الكثير من الهوايات اختر إحداها. ككرة القدم ، أو السباحة، أو كرة الطاولة، أو الأشغال اليدوية، أو جمع الطوابع أو الموسيقى، أو التصوير. وليكن على منضدتك أيضاً كتاب به تلهو وتستفيد.

هذا ما نصحني به أحد أساتذتي، فأرشدني إلى مواضيع من الدروس والمباحث جعلت إحداها هوايتي الكبرى. فكنت أرجع إليها كلما عن لي فيها خاطر، أو سنحت لي فيها فرصة. وكنت لا التزم الموضوع الواحد أكثر من ستة أشهر، إذا أبدأ أشعر بالملل والفتور، فأتحول إلى غيره. وهكذا درستُ ، ولا معلم لي سوى عقلي ونشاطي، علم ما قبل التاريخ وعلم النبات ، وعلم الفلك، وتاريخ مدينتي ، وتاريخ الحصون والقلاع، وغيره.....

لكنَّ الكنيسة وضعت بين أيدينا وسائل غيرها تسموها شأنا هي الوسائل الدينية الفائقة الطبيعة.

فليكن السيّد المسيح إلهك ومعلّمك ورفيقك. تعلّق به بكل جوارحك، أحبّه بكل قلبك، وعاشره معاشرة الصديق الأكبر الذي تثق به، وتسأله العون في الحاجة، والطريق في الظلمة، والقوّة في الضعف. وتسير ماسكاً بيده يقودك في مسالك الحياة، بين أشواكها ومخاطرها.

وأعلم أنك إذا ما تركت هه اليد، سقطت.....

ألا تذكّر ما أبداه المسيح للشبيبة، في الانجيل ، من العطف الخاص ؟ وكان أحدهم يوحنّا، ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبّه. قل له من أعماق نفسك : دائماً معك، يا رب. أقل له أي قول آخر تستعذبه... زارني بالأمس شاب في السابعة عشرة من عمره، منتصب القامة قوي البنية، لعوب مرح، مدمن الرياضة. فكنت أستمع له، والعجب يملاني ، يسرد لي حياته . لقد أخذ المسيح بمجامع قلبه، واحتل في حياته مكانته.

لا يجهل لمسيح شيئاً من أمرك. إنه يعرفك حق المعرفة، ويعرف بوان نفسك. أنه يحبك ولا يدأب يعضدك بنعمته.

كن بجانبه في كفاحك تنل النصر. صل له، وليكن للصلاة أوقاتها المنتظمة. صل لصديق نفسك الحميم، لصديق الشبان الأعظم.

وسر القربان ؟ إنه مصدر قوتنا. وإنه لمن المؤسف أن نرى بعضهم يتناولون جسد الربّ وهم أحداث ، حتّى إذا شبّوا وترعرعوا، تركوا المائدة المقدّسة، فلا يعودون إليها إلاّ نادراً .فهل الحدث في العاشرة من عمره أمسّ حاجة إليها من الشبان في السادسة عشرة؟

ليست المناولة مكافأة ينالها الصالحون. إنّها الاتّحاد بذلك الذي كافح لأجله تناول إذا لتظل على اتّحاد وثيق بالمسيح. وليس ليتيسّر لك الكفاح وتفوز بالغلبة.

فلقد ضلّ مَن ظنّ أنَ المناولة دواء ليس إلا تناول لتزداد حباً بالمسيح واتحادًا به. أمّا الغلبة في الكفاح فتأتيك عفواً ثمرة ناضجة من ثمار حبّه.

والاعتراف ؟ أنه سرّ التوبة. فإذا ما سقطت في خطيئة بادر إلى الاعتراف بها . ففي إسراعك إلى الاعتراف، من الندامة، ومن التواضع، ومن قهر الذات، ما تستمطر به عليك نعم الله. لا تذهب قط إلى النوم وضميرك ملطخ بخطيئة. قل عندئذ فعل الندامة الكاملة تخرج فيه بكلمات من صميم قلبك. واسأله المغفرة، وعده بالإصلاح.

اختر لك الاعتراف مرشداً ثابتاً لا تستبدله بغيره في كلّ سانحة، رجل ثقة وخبرة تتّخذه صديقاً لك، فتتحدّث معه عن أمورك، حتّى خارج الاعتراف، بقلب مفتوح. ولا تتوهمن أن ما تعترف به له من ذنوب وخطايا يقلّل من قيميتك في عينيه. إنه بالعكس ليسرّ كل السرور، إذ يجد بك شابّا يريد أن ينهض، ويتابع الكفاح بعزم وثبات. فالكاهن يستقبلك، كما يستقبلك المسيح الراعي الصالح، فاتحاً لك ذراعيه وقلبه. إنه لن يضن عليك بالنصح فيرشدك ويسندك في كفاحك، يرفع بأنظارك إلى غايات سامية ومهام نبيلة ، يوجه إليها حيات.

وبقى الآن أن أذكر لك وسيلة أخذ بها الكثيرون من الشبان قبلك، فكانت لهم خير وسيلة وأنجعها. وهي أن تكرّس ذاتك للعذراء مريم بمثل الكلمات التالية:

" أيتها السيّدة العذراء، أريد أن أصبر رجلاً . لكن التجارب تكنفني من كل جانب. فلكي تتشدّد عزيمتي في الكفاح أكرّس لِك جسمي وكل ما يزخر فيه من قوى. أكرّس لكِ جسمي وكلّ ما يزخر فيه من قوى. أكرّس لكِ مخيلتي الطى كثيراً ما تجنح بي إلى المهوى. إني في حمك. فمتى ثارت في الرغبات الشريرة أصرف عنها أفكاري إلى ما هو صالح نبيل ".

ولسوف تستجيب العذراء إلى ندائك إذا ما وجهته إليها بالنية الطيبة الصادقة.

لا تيأس

قد تسمع صوتّا من باطنك، وأنت تقرأ هذه الصفحات، يقول لك:" ما الفائدة من ذلك ؟ فلا جدوى من كفاحك. ولطالما كافحت، وحاولت الخروج مما أنت فيه، فأخفقت مساعيك، وفشلت. فلماذا تعيد الكرة؟ إنك لم تخلق لتنجح. فلقد كنت دائماً، وستظل دائماَ، كما أنت، لا يرجي منك خير، ولن تصير رجلً . هذا، ولا يغرب عن ذهنك أن من الشبان حولك من انغمسوا أكثر منك في الذنوب والمعاصي".

هذا ما قد تسمعه في قرارتك . ولكي تكون على بصيرة من أمرك أطلعك من نفسك على قد لا تعرفه.

تدبّر ما يجري في باطنك تجد أن هناك شخصين مشتبكين دائماً في قتال. فهناك ما يشبه الرجل الذي تسعى لأن تكونه، الذي يتوق إلى كلّ ما هو رفيع، سام، نبيل طاهر. وهناك أيضاً من تنقلب أحياناً إلى مثله، من فتى غرّ، أحمق ، وقح، شرير، يسف ويتدنى، وبيدي من الرغبات ما ليس بحسن. وهو بذلك يشبه فتى يسير في الشارع مع أبيه، لا ينفكّ يشكو، ويتذمر، ويعربد، ويبكي، ويصرخ، طالبّا هذه أو تلك من الحلوى ومن الألعاب، سائراً بأبيه على هواه، وحسبما يعنّ له.

أنصت إلى ضميرك ووجدانك تسمع ما لا ينفكّ يدور بين هذين الشخصين من حوار. ففي كلامهما نور لك وعبرة. فالرجل النبيل لا يلو جهداً ولا دخر وسعاً، لأحرار الغلبة على الآخر، تساعده في كفاحه نعمة اللّه. وهو يعرف مواطن الضعف من نفسه فيحصنها، ويقف أمامها للأخر بالمرصاد، حتى إذا هاجمه فيها، ردة على أعقابه خاسرّا، فيذهب ويبحث له عن مواطن ضعيفة غيرها ليهاجمها.

قد تكون الدعارة موطن الضعف فيك، فدافع عن نفسك وقاوم، وهاجم، وانظر إلى الأمور نظرة احتقار، من عل، قائلاً لعدوّك :" " إني أعرفك، فلن تنال مني منالاً ".

وإذا كانت حالتك قديمة، وعادة الخطيئة فيك متأصّلة، فبعد نفسك الآن في طور التفاهة. إ بعد المرض النقاهة، والشفاء التام لن يتأخر. وستستعيد قواك رويدًا رويدَا، بينما العادات الشريرة تضعف، ثم تتلاشى.

بل قد يصبح من هو في النقاهة الآن مصارعاً شديد البطش، ويصبح من هو جريح الآن بطلاً مغوارًا. وأما من ينهزم من المعركة ويولي الادبار فإنه جبا رعديد.

والسقطة يليها النهوض. وإذا سقطت عشر مرات فانهض قائماً عشر مرات. فالسبّاح لم يصر سبّاحَا منذ السباحة الأولى. فلقد غاص مرارًا وطفا، ثم غاص وطفا، وقاوم الأمواج، حتى مهر السباحة وأمن غوائلها . ولولا ذلك لكان الآن في عداد الغرقى.

وما دمت لأجل الطهارة مكافحًا لم تلق سلاحك ، فأنت طاهر. فحسبك إرادة الكفاح. وليس من يحتقر محاربًا في الميدان. فإذا قهرت في الحرب، ولم تخرج منها ظافرًا، فليكن ذلك بعد مقاومة، وليس بعد هزيمة.

هذا ما قاله القديس أوغسطينوس، وقد قضى شبابه في عراك شديد مع أهوائه، وتردّى في حمأة الإثم. إلا أنه لم يلبث أن نهض من سقطته، وصار كاهناً فاضلاً وأسقفاً قديسا.

ومن الشبّان من يدعون، صادقين، بأنهم لسقطاتهم كارهون ، ولها آسفون. ويقولون:" لم يكن لنا بها من رضي، فلقد كافحنا الكفاح الطويل . ثم، على حين غرّة، وفي ساعة سهو وتراخٍ، أو أثر تضعضع الحواس، وتبليل الرشد، زللنا....".

هذا قول صحيح. فقد تصدر منّا بعض الأفعال دون إرادة وعي، أو عن إرادة ضعيفة ووعي ناقص. فلا نرتكب بها، والحالة هذه، من خطيئة مميتة . إذ لا تكون الخطيئة مميتة إلا إذ كان الفعل خطيرّاً والوعي كاملاً، والمعرفة تامة.

وهاك مثل الشاب الحادّ المزاج، الذي يثور ثائره، ويغلي مرجله، لأنه الأمور. لقد تسلّح هذا الصباح الباكر بالعزم كي لا يندفع وراء أهوائه. إنه على حذر من أمره. ولكن حدث بعد الظهر ما لم يكن بالحسبان. فلقد التقى رفيقاً له أخذ يسخر منه ويستهزئ. فما كان من الشاب إلا أن رفع يده وإنهال بها عليه ضرباً. وبعد حين ثاب إلى رشده فأقرّ بأنه إنما عمل ما عمل في سورة من الغضب الأعمى كان فيها فاقد الصواب، ولقد صدق الشاب في قوله. فإن حدّة طبعه سبقت إرادته ومقاصده.

وهذا ما يحدث في خطيئة الدنس. فالناس متباينون في الأمزجة والطباع . وبعض الفتيان لا تقف إرادة طيّبة وقصد دون سقوطهم، لأنهم يسقطون دون تمام الوعي والرضى . فليقرّوا في الاعتراف بخطيئتهم بموجز الكلام، وليردفوا قائلين :" اعتقد أمام بأن إرادتي لهذه الخطيئة لم تكن كاملة، ووعي لها لم يكن تامَا".

استرشد

لديّ أيضاً من النصائح أودّ أن أسديها لك. إنمَا اكتفي الآن بأن أرسلك إلى الكاهن الذي ستوليه ثقتك.

قل له إنك قرأت هذه الصفحات، فيتمّم هو ما نقص مما ورد فيها ، ويسدي لك من النصح والارشاد ما ينطبق على حالتك، ويوافق مزاجك. وعلى كل، فلا تتوهمن أنك في شر الأحوال،

وأن حياتك قد انهارت، وأنّ الناس ينظرون إليك شزراً لأنك تعاني بعض الصعوبات في مجال الطهارة. قد تكون هذه حالة بعضهم، فلا تكن من عدادهم، ولا تساورك المخارف مثلهم. فالمهم أن تحب الله، وتحبّ القريب وتسعي لخيره. فالمحبة، لا الطهارة هي الوصية الأولى. ولكنك إذا ما أمعنت النظر ترى أنّ الطهارة هي إحدى لسبل التي تؤدي إلى محبّة الله، ومحبّة القريب.

صلاة لحفظ الطهارة

اللهمّ، يا مَن خلقتني على صورتك ومثالك، من يديك أتتني نفسي وقواها، وجسدي وغرائزه، وما أعظمها من غرائز تصل بي حتّى المقدرة على إعطاء الحياه !.

أريد أن أسهر، بمعونة نعمتك ، على ينابيع الحياة التي وضعتها بين يدي. فلقد فهمت وظيفتها، ووعيت أهميتها.

فإذا ما أسأت استعمالها في سبيل لذة عابرة فإني أحطّ من قدر نفسي، وأفقد من القوى التى إنما أعطيتني إياها لأقوم بها بعمل سام خطير.

إنك تعرف أنّي أخوض في سبيل الطهارة حربّا شعواء.

فلقد تضافرت علّي فيها قوى الشر، وما أكثرها ، من سينما، وتصاوير، وواجهات وكتب وأزياء وأحاديث. فكأن هذه كلها قد تعاهدت على اسقاطي والقضاء عليّ.

سأسلك بمساعدة نعمتك، طريق الحياة الضيّق، صعدّا، لا أجزع، ولا أنثني ، كمن يتسلّق جبلاً عاليّا تحفّ به المزالق والمهاوي، زهو ثابت الجنان، قوي العزيمة لا يضع قدمه إلا في موضعها، ويتقدم....

وإذا ما زلّت بي القدم، فأقل عثرتي ، يا إلهي، وانهضني بيديك الديرة، فأعود إليك وقد ملأت الندامة قلبي، ووطنت النفس على الاخلاص لك، حتى أنشأ رجلاً يعتمد عليه.

أنت والفتيات

اكتشاف

في العالم بنون وبنات، هذا م لم تجهله قط. إلاّ إنه، حتى الأمس القريب، لم يثر فيك اهتماماً ولم يحرك فيك ساكناً وكان وقت لم تكن لتلقي نظرة على فتاه.

لا بل لم تكن لترى من قدرك أن توجّه الكلام إلى فتاه.

فأنت أعلى شأناً من أن تتحدّث إلى أولئك الضعيفات، الرعديدات، الحمقاوات. ولربما حملت عليهنّ حملات من التهكم والسخرية أثارت عليك سخطهنّ، واستنزفت من أعينهنّ الدموع. وعلى كلّ فما أهون شأنهن لديك، وما أحقر دورهنّ في حياتك.

وإذا بالأمور ذات يوم تتغير. فيكتشف الشاب هذا الاكتشاف الخطير، أنّ نصف البشرية ليس كالنصف الآخر.

إلاَ أن ما استرعى أوّل الأمر اهتمامه، لم يكن الفتيات بوجه العموم، بل أحدهنّ، تلك الفتاه التي التقي بها ذات يوم صدفة وحدثت إذ ذاك الصدمة. وانفتحت العينان على الفتاة تحدّجانها، وخفق القلب خفقانه السريع. لماذا هذه الفتاه بعينها أحدثت فيه ما أحدثت وليس غيرها؟ هذا ما لا يستطيع أن يجيب عليه.

ماذا طرأ عليه إذّا ؟ وهل يستجيب للرغبة الناشئة، ويساير التيّار ؟ ما يكون موقفة، وكيف يسلك، في هذا الأمر ، لكي يظل فتى شريف النفس ؟ أسئلة خطيرة سنعالجها في ما يلي :

كائنان متكاملان :

تستدل مما قلته لك إلى الآن على ان الانسان السليم الجسم والعقل لا يستطيع ان يعيش منفردا لأنه كائن اجتماعي. هذا ناموس الحياة المطبوع في أعماق لطبيعة البشرية.

ولقد علمتك الحياه هذا الناموس. فمنذ نعومة أظفارك كنت تفتش لك عن رفقاء، من بنين وبنات، تلعب معهم ولما كبرت تغيرت معك الحال فصرت تفتش لك – وربما لا تزال تفتش – عن صديق يفهمك ، وينادمك ويشاطرك الهموم، ويقاسمك الرغبات والمقاصد والخطط.

والصداقة الصادقة ما أجملها، فليس في اليد، إذ تصافح، من لين ورخاوة. وليس في النظرات من أسى وشجى وليس من حلقات لاثنين، مغلقة عن سواهما، في معزل عن الأنظار، مما يحدث بين فتيان هم بالفتيات أشبه.

ولا يلبث الشاب أن يدرك أن هذه الصداقة لم تعد تكفيه. إن به لعطشًا إلى ما سواها، مما لا تكمل له الحياه بدونه، ومما لا يستطيع الصديق إعطاءه صديقه.

وهكذا تتجه غريزته بأفكاره وعواطفه نحو الفتاة. هو الله أخذ يعدّه بهذه الصورة للمهمّة الطى سيضطلع بها كلّ رجل وها هو السؤال طُرح عليك فعلى جوابك يتعلق المستقبل : هل ستظل شاباً شريف القلب طاهر الذيل أم ستتردّى في حمأة الرذيلة فلا تلبث أن تعضّ أصابعك ندماً ؟

أيترك الشاب لشهواته العنان ؟ سأجيبك على هذا السؤال جواب صديق نصوح يحبّك ولا رائد له إلا خيرك.

الحب الحقيقي

إذا أمعنتَ النظر في ما قلته لك استطعت أن تبين للحب الحقيقي عناصر ثلاثة :

العنصر الأول : ميل القلب، يشعر القلب برغبة لإعطاء الحبّ لكائن بشري، ولاقتسامه معه، ولمساعدة فتاه على القيام بمهمتها فيه، زوجة، وأماً، ومسيحية .

كما أن الحب ّ لا يكون في الفتاه صادقاً إلا إذا سعت هي أيضاً إلى هذه الغاية، وإلى هذا المثل الأعلى للحب.

وميل القلب هذا ينتهي بالشاب والشابة إلى الاقتران، أمام الله وبمقتضى شريعته، على درجات الهيكل.

والعنصر الثاني : رغبة الأبوة والأمومة، إ يقف الزوجان حياتهما على تربية أولادهم تربية ينشون بها على محبة الله ومحبة القريب. وليس من عمل أجل وأسمى فلئن حول العلماء المواد الخام، من نبات وجماد، إلى بواخر وبنايات وطائرات ومعامل، فإن الأبوين يحولان الطفل إلى رجل سليم الجسم، صحيح التفكير ، قويم المبادئ يسعى بحياته إلى خدمة الله وخدمة الانسان. وشتان بين عمل وعمل.

متناسقة، فلا ينفصل عنصر عن آخر، ولا يخرج عنصر على آخر. ولا يستقل الثالث عن سابقيه بل يخضع لهما، وينسجم معهما.

هذه النظرة إلى الحبّ تتطلب منك أن تمسك بيدك زمام نفسك. لأن الشاب الذي يترك للغريزة الجنسية العنان لن يبلغ إلى الحبّ الصحيح، بل ينساق إلى سهواته. إنه يحكم في الأمور على ضوء أهوائه، ويطلب في الزوجة أداة للهوه ولذته، لا شريكة لحياته. فإن لم تتعوّد منذ الآن ضبط

النفس، فكيف تتعوّده فيما بعد؟ إنّ الكفاح وقت الشباب في سبيل الطهارة لكفاح في سبيل مستقبلك، وفي سبيل أسرتك.

هل من حبّ صحيح في عمرك؟

خذ الجواب مما قلته لك أعلاه. فهناك واجبات : من أسره أن تضطلع بالمسؤولية عنها وتحمل أعباءها.

ومن زوجة هي شريكة حياتك يجب إسعادها وتوفير أسباب الرغد لها. ومن أولاد يجب تربيتهم. إلى غير ما في الحب الصحيح من تبعات يعجز عن حملها من لم يبلغ بعد أشده ولم يتقن بعد مهنة يضمن بها العيش، ولم تكتمل بعد بين يديه أسباب الحياة.

ولا تتوهّمن أنك قد بلغت من الحياه مبلغاً إذا ما أنهيتَ بعض الدروس، وحزت بعض الشهادات، ومارستَ بعض الأعمال. فأمامك بعد شوط في الحياة يجب أن تقطعه لكي تتوفّر بين يديك المؤهلات، وتستكمل الشروط.

قد تشعر بميل إلى الفتيات، إلى هذه أو تلك من الفتيات. هو الله يُعّدك تدريجياً لأن تكون رجلاً وتقوم بمهمة الرجل. وهو الذي يوجّه أنظارك إلى دورك الآتي، من زوج وأب . لكن إعداده لك لم يتم بعد، ولم يبلغ بعد بك المبلغ الذي تحقق فيه ما ينتظره منك من غاية.

فالثمرة لا تنزع من الشجرة قبل أن تنضج. فلا تنزع الحبّ الذي يتكون في قلبك لتقدمّه إلى أول فتاه تلتقي بها. وليس أسهل من أن تقدّم قلبك على هذه الصورة.

لكن ذلك ليس بالحب الحقيقي.

فإذا كنت لم تبح بعد بحبّ لفتاه فاكبح جماح نفسك، وامسك عن التمادي في الحب. لا أقول أن تسدّ ينابيع وتخرّبها. بل أن تدخّر ما تزخر به من طاقة وامكانات لكي تطلقها يوماً في سبيل

أسرتك قد يشق عليك ذلك وأنت ترى الشباب حولك يلهون بالحبّ ويعبثون. فلا تقتِد بهم بل قل إنك تنظر إلى الحب نظرة أصح من نظرتهم وأسمى وإنك لفائز إذا ما انتظرت فالأمور مرهونة بأوقاتها حتى إذا حان حينها تستطيع أن تقدم للفتاة ، التي تختارها شريكة لحياتك، قلباَ سليماً سخياً لا قلباً ملوناً ، محطماً، قد تجاذبته الأهواء، وتلقفته الأيدي.

أما إذا كنت قد بحتَ لفتاه بحبّ، فأنت جدير الآن بأن تفهم بأنك قد تسرعت فليس هذا بالحبّ وإنك لم تنسق إلا الأثرة والأنانية. فلم تصغ إلى صوت الشهوة واللذة إلى صوت الغزيرة، التي لم تستطع أن تمسك بزمامها. رويدك أيها الشاب. كم من الشبان يدّعوك الحبّ، ليس لهم من الحبّ إلا غرائز هائجة تعيث فسادًا.

لا أعني بما قلت أن شاباً بعمرك ليس جديراً بميل نحو فتاه قد عرفه من منذ نعومة أظفارها، إذ كانت العائلتان على اتصال وودّ، فأخذ يكن لها عاطفة رقيقة نضرة، وأخذت الحياتان تتقاربان، تحت نظر لله، لا يشعران بغريب، ولا يبوحان بحبّ. أقول لهذا الشاب بأن يرفق بهذه العاطفة الناشئة، ويتلطّف بها، كمن يرفق ويتلطف بغرسة ضعيفة نابتة. وأن يسعى ليصير أهلاً لتلك التي يضمر لها الحبّ، فينكب على دروسه يتابعها بهمّة لا تعرف الكلل، ويعنى بتعزيز حياته المسيحيّة، وإنماء قواه الجسميّة، وضبط غرائزه، والتفاني في خدمة ذويه، ول ا يخفينّ عن مرشده شيئاً مما يخالجه، طالبًا منه النصح، سائراً في كل حال سير رجل شريف هُمام.

نفسيّتان مختلفتان

ولنعد الآن إلى الكلام عن ألوان الحبّ الرفيعة، أي عن عنصري ميل القلب، والرغبة في البنين. فاعم أنَ هاتين النزعتين هما في الفتاة أشدّ وأقوى. فهي منذ الخامسة عشرة تكون قابلة للأمومة — والقانون يُقرّ لها ذلك — ولذا فالرغبة إلى شريك الحياة، وإلى إيلاد البنين، تصرخ في أعماقها

عاليّا. فنراها في هذه السن وأحياناً قبله، تبحث لها عن رفيق وعن قلب. فهي تشعر أنها على أتم الاستعداد. ولذا فحبّها ينطلق صريحاً، كاملاً، تحوم به حول الشبان تطلب من يميزها منهم، ومَن يختارها. لو تدرى كم تقضي من الوقت أمام المرآه تتزيّن وتتبرّج، كعصفور يصقل ريشه !

أمَا الشاب فإنّه يشعر، بغريزته، بأنه لم يتّم بعد استعداده. له دون شكَ، قلبه الحار وعواطفه ، لا يضنّ بهما. إلا أنه يشعر بأن ذلك لا يكفي. ولذا فالشاب الشريف لا يعلق في هذه السنّ بفتاه، ولا يستسلم لفنته فتاه. بل ينصرف بكلّ قواه إلى دروسه، وإلى المشاريع، وإلى الرياضة، محتفظاً بذاته، مدّخرًا قواه لوقت آخر.

ومع ذلك فلا مناص من أن يلتقي بالفتيات، من بنات لأقربائه، أو من رفيقات لأخواته، فيتعرف منهنّ إلى دنيا الفتاه، ويقف على عواطفهنّ. إلاَ أنّه لن يأخذ يبثُ غراماً، أو يعقد صلات، أو يرقّ لفتاه تشجيه بما تشكو له من هموم ملفّقة، فيضحّي بدروسه ومشاريعه وهواياته في سبيل إرضائها.

أمَا الشهوة الجنسية فهي في الشاب أشد وأعنف.

وقد يشتهي الشاب دون أن يحبّ، بينما الفتاه قد تحب بكل قلبها دون أن تشعر بالشهوة في جسدها.

ولهذا السبب يجهل الشاب الفتاه. لا بل لا يخطر له ببال أنها تشعر وتفتكر وتحبّ على غير ما يشعر ويفتكر ويحبّ.

وكذلك الفتاه، فإنها تجهل الفتى، ولا يخطر ببال أنها، بكلمة أو بحركة، قج تثير فيه الأشجان، وتبعث فيه العواصف. وهي لا تبالي بما تحدث في الشبان من اضطراب وبلبلة.

أمّا أنت، أيُها الشاب، فكن رجلاً، ولذلك فعليك أولاً برفقة الرجال من أقرانك. وعلى الفتاة أن تصير امرأة برفقة الرجال من أقرانك. وعلى الفتاه أن تصير امرأة، ولذلك فعليها أولاً برفقة صواحبها من الفتيات.

حتى إذا ما اكتمل نمو الاثنين، فلبغا ما أرادهما الله إليه من رجل وامرأة، فعندئذ يحق لهما أن يتحدا هذا الاتحاد الثابت الذي لا تنفصم عراه مدى الحياه. أمَا أن يستبقا الوقت. فذلك أمر يعود على الاثنين بوخم العواقب. على الفتاه بنوع خاص لأن كيانها كلّه يتزعزع للحبّ الباكر.

فخاخ وشباك

لا تبادر إلى القول : " وما الشرّ من معاشرة فتاه ؟ إني منها لعلى حذر " ولكن هل أنت على ثقة من قوتك حتى تثير التجارب وتتحدّاها ؟ أحب بالصدق، كما لو كان الله سائلك. هل أظهرت إلى الآن في كفاحك لأجل الطهارة من الحزم والعزم ما ضمن لك دائماً الفوز والغلبة؟ وعندما كانت التجربة تهب عليك كالعاصفة، هل كنت دائماً مالكاً لحواسك، ضابطاً لغرائزك، ماسكاً بزمام إرادتك ؟ ألا أجب على ذلك بصدق، والعين في العين ، دون أن تطرف بجفن ، وتطرق بنظر !

كم من الشبان أتوني، والأسي ملء القلب، والعين دامعة، وقالوا : " لقد أصبت، عندما حذّرتنا، فلم تصدّقك. وبدأنا كأطفال أبرياء. ثمَ تمادينا، وتوغّلنا، وانجرفنا...."

لا أخفي عنك أنّ هناك نساء وفتيات قد فقدنَ، على أثر صدمة عاطفية، كلّ شعور شريف، وكلّ حرمة لمبادئ. وقد خبرنَ ضعف الشبان فاستغللته ما استطعن، لاجئات في ذلك إلى وسائل شيطانية لإسقاطهم في حبائلهنّ.

فإذا ما أعرتك إحداهنّ واستغوتك، وهي تحترف مهنة الاتجار بجسمها لكلّ عابر سبيل فقاوم وكافح بشدّة وضراوة ولا تكتمنّ أهلك أو مرشدك شيئاً من أمرك. أو تدري كم يقع من حوادث مريعة، يذهب بعض الشبان ضحيّتها لأنهم لم يكونوا على حذر، ولم يقاوموا ؟

وبما أتّى الآن في مجال التحذير، فإنّي أحذرك من بعض الرجال، الذين اتّخذوا لهم هم أيضاً مهنة إغواء الشبان، وإفساد أخلاقهم. فيا لهؤلاء ما أشقاهم. فقد استسلموا لغرائزهم وأهوائهم، فاستعبدتهم شرّ استعباد.

فدأبهم وديدنهم إشباعها. ولذلك فهم يبحثون دائماً عمّن يستجرّونه إلى الرذيلة من الشبان، حتّى إذا تمَ لهم استدراج أحدهم، لقّنوه الرذيلة، ولقّنوه معها الأمراض التي ابتلوا بها، من جراء انتهاكهم لحرمة جسدهم. فلا همّ لهم إلاَ اصطياد لفتيان الأبرياء ليشبعوا بهم نهمهم.

لديّ عن ذلك حوادث كثيرة أروي لك بعضها : فتى سليم الطوية يفتح له مجهول باب سيّارته ويعرض عليه أن يوصله إلى حيث يقصد. هو رجل لطيف الحديث، حسن الهندام، حلة الابتسامة. وقبل الفتى الدعوة، وسارت السيّارة. ولك يلبث الفتى أن ندم، ولات ساعة مندم. فلقد كان الرجل من أولئك الفاسدين المفسدين.

وفتى غيره تقدمّ إليه مجهول وسأله أن يوصل إلى ذلك البيت، هناك، حزمة كانت بيده. ففطن الفتى النبيه للفخّ. واعتذر قائلاً إنه مشغول.

وإليك حكاية أخرى. كان الشاب عائداً إلى منزله في ساعة متأخرة من الليل. وكان عليه أن يختار حديقة عمومية ضئيلة الأنوار. وإذا بمجهول يخرج من دغله ويحاول أن يجرّه إلى الرذيلة إلا أن الشاب كان حاضر الخاطر، فبادره بقوله: " احذر فأبي آتٍ ورائي " وما كاد المجهول يسمع ذلك حتى ولى الأدبار.

لا تتوهّمن أنك ستقع كلّ يوم، وكلّ أسبوع على واحد من مثل هؤلاء ء لكن المعرفة تقينا العثرات، الوقاية أفضل من العلاج. فكن على حذر . إذا ساورك الشكّ في هذا أو ذاك كائناً من كان، فبادر إلى أخبار أهلك، أو من تثق به من الناس. فأنت لا تزال فتى غرًّا لا خيرة لك بالعالم ولا علم لك بما ينطوي عليه من فساد. فاحذر.

لا نفتأ نسمع أن العالم فاسد وهذا صحيح. فالغرائز البهيمية أصبحت سلعا تباع وتشرى وتدرّ الربح. وليس بأسهل من استثارتها واستغلالها.

هذه مثلاً غزيزه الأكل. جل جولة في الشوارع، وتوقف قليلً أمام واجهات الحوانيت، تر مبلغ ما يبلغ التنظيم والتفنن من الاتقان والكمال، في عرض كلّ ما لذّ وطاب من المآكل ، يستهوي منظرها المارّة، ويسيل لها لعابهم. لا أجهل ما يقتضي ذلك من ذوق وفكر وخيال، ولا أشجبه. ولكن أليس في كلّ طرق التشويق والاغراء هذه من مغالاة وتدجيل وتغرير وكذب ؟ كم من الدهاء لإلباس المأكل التافهة لباسها المزيّف من الفتنة؟ وكم من الحبل لاستدراج السباعي إلى الأكل ؟جل إذًا جولتك في الشوارع ساعة الازدحام تجد أنّ الواجهات والاعلانات والأضواء والصور وكلّ أدوات الدعاية والزينة تستثير الغرائز وتبعث الشهوة، فلا مفرّ منها ولا مناص.

وماذا نقول عن غريزة الشرب، وغريزة النوم، غريزة التبرّح، وما قام حوالها جميعها من دعايات، تزيّن هذا النوع من الشراب دون غيره، وهذه الأسّرة دون غيرها، وهذه المستحضرات من المساحيق والعطور والصباغات؟

كل ذلك له من قوة الاغراء ما ينقاد له المرء صاغرًا، راضياً.

فإذا كان هذا دأبهم مع هذه الغرائز يستثيرونها ويتجرون بها، وهي غرائز بريئة، فهل يتركون الغرائز الجنسية وشأنها، وهي على ما نعلم من الحيوية والشأن ؟

لقد أتجروا بها أيضاً إتجاً يفوق كل وصف. تجارة تألّفت لها شركات عالمية، وفتحت لها مراكز في أهمّ مدن العالم، وتجنّد لها رجال ونساء لا قانون يردعهم ولا ضمير، وقد يرعوا في نشر حبائلهم ونصب يردعهم ولا ضمير، وقد يرعوا في نشر حبائلهم ونصب فخاخهم لأمثالك من الشبان. فلديهم، لاستثارة الشهوات، من الحبل والأساليب ما لا يخطر ببال. فهناك الجرائد تنشر في الصفحة الأولى صورة لامرأة في وضع مثير، علماً منها بأن القرّاء ينتظرون لغرائزهم مثل هذا الطعام اليوميّ.

وهناك المجلاّت والنشرات الرخيصة والمصوّرات تملأ واجهات المكاتب تعرض على الأنظار النهمة جسم المرأة، تمعن فيه المخيلة نهبًا وتمثيلاً.

وأفلام السينما ؟ ما أكثر البضاعة التجارية فيها، وما أقل الرفيع الرائع! وحتّى في هذا الرفيع الرائع كم من المشاهد الخلاعيّة قد حُشرت فيها حشرًا، ليس إلا لإرضاء الغرائز واستثارتها. فلا تكن من أولئك السذج، الذين لا يتركون منها فائتة توتهم. فيخرجون من دور السينما وقد تلطّخوا وتدنّسوا وخسروا من الفضيلة في ساعات ما قضوا سنين في اكتسابه، ولصقت في نفوسهم من أقذار رأوا وسمعوا ما لا تمحوه الأيام، من سخرية بذيئة قذفوا بها قدسيّاتنا، فلم تنجُ من سهامها الفتاه، والزوجة، والحبّ، والطهارة، والولادة، والأمومة.

وهل بقي بعد ذلك في الحياه من معانٍ وقيم جليلة لم تمشها الأيدي الوسخة؟

وكم أغرتك إعلانات للسينما تلصق في كل شارع، وفيها من مشاهد للمرأة ما يستغويك، فتذهب لرؤية الفيلم طالبًا فيه منها المزيد.

كن إذًا على حذر من كلّ هذه الفخاخ التي ينصبها لك زبانية الجحيم هؤلاء، ولا تبذل دراهمك لهؤلاء المفسدين الفاسدين، تشترى بها جرائدهم ومجلاّتهم، وترتاد بها مسارحهم ، وتحضر بها

حفلاتهم. انظر واقرأ ما هو جميل لاحقاً، ورائع حقًا، فلا يبقى لك من الوقت ومن الرغبة ما تسعى به إلى أوحالهم.

كيف تسلك مع الفتيات

يتبادر إلى ذهنك في ختام هذا الحديث أن تسأل :

" كيف أسلك مع الفتيات؟" إليك عن هذا الأمر بعض الإرشادات :

أنظر إلى الفتاه بعينين صافيتين نقيتين، لا بعينين تتّقدان شهوة، كمن ينظر إلى فريسة. لا تنسَ أن العذراء أم الله كانت يومًا فتاه مثلها. وهي لو عاشت في القرن العشرين لبدت لك فتاه كإحدى الفتيات التى تلتقي بهن كل يوم، صبوحة الوجه، بشوشة، ذات رونق وبهاء وفتنة. لكن أي طهر يشعّ من عينها، يفوح من حركاتها، يتجلّى في كلّ هيئتها !

كن معهنّ شهمًا. ومهمّة الشهم الدفاع عن الضعيف. ومهمّة الفتى الشهم نحو الفتاه مهمّة حماية، وليس مهمّة حصار ومطاردة. ولا تتشبّه بأولئك المجرمين الذين يفسدون بدلاً من أن يحملوا وإذا ما التقيت بفتاه طائشة تبغي اللهو والعبث، فليكن ما تراه فيك من نبل واباء مساعداً لها على المسلك الرصين. وقد تكون الواسطة الأنجع أن تولها ظهرك.

أعيد عليك ما قلته أنفاً : ليس في ضبط النفس ما يخمد الحبّ، بل ما ينفحه قوّة وعمقًا . فلا تتشتّت وتتوزّع في هذه المعابث والمغازلات التي تضعف الحبّ، وتحيد له عن مجراه وعن غايته.

ليست طاقة الحبّ بالتي لا تستفيد ولا تخمد. إنّها ثروة والثروة تستودع في أحد المصارف لكي تستخدم في ما يعود بالربح والنفع أما أن تحوّل هذه الثروة إلى قطع من النقود الصغيرة تأخذ بصرفها وإنفاقها حفنةً تلو حفنة، على مدى أشهر وسنين، فإنك لا تلبث أن تصبح منها صفر

اليدين. حتّى إذا احتجت إليها حقًا وجدتَ أنك قد استنفذتها دون جدوى. هذا شأن الحبّ. فإذا أخذت تبذله دون حساب، كقطع النقود الصغيرة، في اللهو والعبث، فإنك لن تكون قادراً فيما بعد على الحبّ الصحيح، حينما تدقّ حقًا ساعته.

إدّخر إذا للفتاه التي ستكون يوماً أم أبنائك.

اذهب بفكرك إلى تلك الساعة الخطيرة التي ستقف فيها يوماً بجانب تلك التي ستقدمّ لها قلبك وجسمك، وهما طاهران نقيّان، لم يُبذلا يومًا في لهو، ولم ينهكا في عبث. إنّك تستطيع عندئذ أن تغوص بنظرك الصافي إلى أعماق عينيها، ولسان حالك يقول :" أعطيك الآن الحبّ الي لم أعطه قط أحداً سواك. فأنا لك إلى ما شاء الله حتى نشترك في حياة نخبّ فيها الله، ونقفها على خدمته". وإذا استطاعت هي أن تبادلك النظرة، فاعلم أنك قد قمت ببناء لن تقوى عواصف الحياه ولا الأهواء على زعزعته.

إذا التقيت يومًا، وأنت حدث، بفتاه راقك فيها صفاتها ومزاياها، شعرت أنها تميل هي أيضاً إليك مَيلاً هو أكثر من الصداقة ، فلا تتهافت عليها، قائلاً في نفسك: "إذا لم أبادر إلى مبادلتها الحبّ فقد تفلت من يدي". هذا ما يخطر للكثيرين من الشبان، فلا يحجمون. أمّا أنت فاحتفظ برشدك، واعلم أنّ الحبّ لا يُعطى ويؤخذ على هذه الصورة فهو أعمق وأرفع وأشقّ من أن يُبذل بكلمة ونظرة. بل لأقل في نفسك : " لقد خصّتني هذه الفتاه باهتمامها، وليس ذلك دون داعٍ.

فقد رأت فيّ ولا ريب من المحامد والمحاسن ما أثار فيها هذا الاهتمام. ليست إذًا مّمن لا يقام لهم وزن. فلا داع للتسرّع. ولأنتظرَن دون وجل يوم استطيع أن أقدم أكثر من قلبي. وهي أتظل، يا ترى، بعد ست أو سبع سنوات، على ما هي عليه الآن؟ ألا يتبدل فيها يومئذ رأيي وتتحوّل عنها أفكاري؟".

ليس من شكّ في أنَك بهذا التصرّف تستهدف لسخريَّة البعض من رفاقك، فيقولون عنك إنَّك أبله، ساذج، لا ينتهز الفرص، ولا يتمتع بالشباب. اسخر أنت بدورك منهم، في قرارة نفسك، ولا تبال بما بقولون.

فلست في قطيع من الغنم تسير وراء كلّ ناعق. وإنَك، بعد أن قرأت ما قرأت لأوسع فهمًا، وأبعد نظرا وأكثر اطلاعًا منهم جميعاً فدأبهم، هم، أن يربطوا قلبًا بقلب، ليس للحب بل للمتعة واللذة. فلقد أفاقت فيهم الغريزة وليس للحبّ. حسبك أن تنظر إلى عيونهم، وتنصت إلى أحاديثهم، لتعلم مبلغ ما بلغوه من الفهم لشؤون الحبّ.

لا تنتظر منهم مساهمة في مشروع ولا تعجب لنبذهم كلّ دين. فليس الرأس سيّد حياتهم، ولا القلب، بل الغرائز.

أما الفتاة التي خلقها الله لك، لتكون يوماً أمّ أبنائك، فهي الآن في قيد الحياة، في مكان ما من هذه الدنيا، قريبة منك أو بعيدة إنهَّا ولا شك دونك سناً – ولا تجهل ما يقوله الأطباء عن السنّ الملائم للزواج – فاحفظ قلبك واضبط نفسك، في سبيلها.

وإذ تشتدّ عليك التجربة، اذهب إلى الكنيسة، وصلّ راكعاً في زاوية من زوايا المعبد، تحت نور المصباح العليل، أمام العذراء مريم. صلّ لأجل الفتاه التي ستكون يومًا رفيقة حياتك، واطلب لها من العذراء أن تظل طاهرة، كما تريد هي أن تظل أنت طاهرًا. ولشدّ ما ستدهش هي وتزهو، إذ تسمعك يومًا تقول : " عندما كنت طالبًا في المدرسة أو الجامعة، أو متدرّبًا على مهنتي، صلّيتُ لأجلك، دون ن أعرفك".

صلّ لأجل الفتيات

هبني اللهمّ الاحترام لكلّ فتاه، لأنَ، لأنَ أمّي كانت يومًا فتاه. ولا يسرني أن أسمع أن شبّاناً، يومذاك، أهانوها، وأخلّوها بواجب لاحترام نحوها.

لا أريد أن أعبث بالحبّ الذي أخذ يفيق في قلبي . بل أريد أن أحتفظ به كأعزّ ما لديّ.

أعدك بأن أكون سيّد أمري. فلا أنقاد لرفقاء يريدون أن يتلهّوا بالحبّ العابر، لأنهم ل يدرون ما يعلمون، ولا يهمّهم من الحبّ إلاَ جني لذّته.

أعدك بأن أتحاشى جهدي رؤية أو قراءة ما يذهب بوقتي وصحتي وأخلاقي، وما يحطّ من قدر الفتاه والحب والولادة والأمومة.

اللهمّ، إنَك هيّأت لي فتاه أنت تعرفها، وقد قرنت اسمها منذ الآن باسمي. فهبني أن أكون أهلاً لها، بطهارة حياتي، حتّى تكون هي يوماً زوجة لي، وأمًّا لأولادي، بحسب إرادتك.

إلى الشبّان الذين يقفون حياتهم على خدمة الله

يسمع بعض الشبان صوتاً في أعماق قلوبهم يناديهم. وينظرون إلى حاجات الكنيسة، وحاجات البشريَة المتعطّشة إلى الحقيقة والروح وحاجات الشبيبة، وحاجات الشعب العامل، وحاجات الشعوب النائية المتأخرة. ينظرون إلى كلّ هذه أرحب من الأسرة، ويعزمون على التخلّي عن حقّهم في الزواج، لكي ينصرفوا إلى مهام أوسع، لا يقيّدهم قيد سوى إرادة الله.

إنَك لواهم في أمر هؤلاء الشبان إذا ما اعتقدت بأنَهم كجلمود صخر لا يشعرون بالحبّ، ولا يبالون بفتنة المرأة.

عندما يعرب لي شاب في السابعة عشرة من عمره أنه يرغب في الحياه الكهنوتيَة أو الرهبانيَة، أطرح عليه، في سباق حديثنا، السؤال التالي : " وما رايك بالفتيات ؟ ألا تجد من صدى لهنّ في قلبك؟" فإذا اجابني قائلاً : " الفتيات؟ إنّي لا أشعر نحوهنّ بأقل مَيل، فكأنهنّ لسن بموجودات". عندئذ أحكم بأن ها الشاب ليس، على الأرجح، بمدعو إلى الحالة الكهنوتية. أو بنَه لم يبلغ بعد من النضوج ما يستطيع أن يحزم به أمره ويقرّر مصيره.

ولكن عندما يجيبني قائلاً : " الفتيات؟ إني لا أكرههنّ" ولا سيما عندما يردف ك " وتروق لي منهنّ واحدة تتردّد كثيراً إلى بينا تلازم أخواتي. فالعائلتان على صلات وديَّة قديمة. وأظن أنّي لحقيق بأن أكون زوجاً مثاليَا وأبًا حنوناً ، لأنّي شغف بالأولاد. لكني أضحّي بحبّى الناشئ في سبيل دعوتي. فلقد قرّرت أن أقف حياتي على خدمة السيّد المسيح " فإنّي عندئذ لا أشكّ في صحّة دعوته.

وإذ ما بدا لي في سباق الحديث معه أنّه مفتوح الآفاق، واسع الصدر، ينمو نموّه المناسب له، وأنّه لا يخاف من الزواج خوفاً، ولا يتهرّب من أعبائه تهرّبًا ، بل اختار مسؤوليات ليست دون مسؤوليات الزواج شأناً، عندئذ يثبت لي بما لا يقبل الريب، أنَّ دعوة الشاب ديَة متينة.

وتتشعّب أمام هذا الشاب الطرق. فقد يريد أن يكون " أخًا" كما أن السيّد المسيح هو أخ لنا جميعاً أو " أبا" الأولاد ما لا تشمله في العائلة وقد يرغب أن يكون " كاهناً " في رعية أو " اهباً" في جمعية، حتّى يمنح المؤمنين الحياة الروحية بواسطة ذبيحة القداس والأسرار.

وقد يخطر له أن يكون " راهبًا أخًا " في جمعية الرهبان الإخوة، ليساهم معهم في تربية الشبيبة، وعناية المرضى، وغير ذلك من المشاريع الدينية والاجتماعية التي تقوم بها الكنيسة في العالم.

وقد تسألني : " روما هي علامات الدعوة الحقيقيَة"؟.

فأجيبك بأن بعض الشبان يشعرون بالرغبة منذ الصغر لتكريس حياتهم للمسيح. قد تكون هذه الرغبة إشارة من الله، وقد تكون شعوراً عابرًا. والمرشد الذي يتّخذه له الشاب حقيق بأن يحكم في الأمر بالصواب.

لا يدخلنَ في روعك أنَ الكاهن، إذا ما اتصلت به للإرشاد الروحي فإنه سيبث فيك فكرة الكهنوت، ولن يزال بك حتّى تسلك هذا السبيل. كلا. فالمسألة من الخطورة بمكان وليس مكن كاهن يأخذ على عاتقه أن يلحق بخدمة الكنيسة والمسيح من ليس بأهل لها.

ومن الشباب مَن لا يشعرون، كغيرهم، بهذه الرغبة.

فهؤلاء يتبّرون في الأمر، ويحسبون له حسابهم، تحت نظر الله، ويتساءلون : " ماذا أعمل بالوزنات التى بين يديّ، وكيف أتجر بها، وأخدم بها الله والناس على أحسن وجه؟"

وعندئذ يخطر لهم خاطر : " ولماذا لا أصير كاهناً ؟ لماذا لا أصير أخاً ؟" وهكذا ، دون أن يشعروا بصدمة ، ودون أن يستسلموا لعاطفة أو شعور، يطلبون الهداية في صلاة لا تنقطع ، إلى أن يتوضح لهم الطريق، على ارشاد مرشدهم، وبمعونة الله، فينخرطون، عن اختيار ورضى، في خدمة الله والإنسانية.

والكنيسة تطلب من الشاب، لكي تقبله في عداد كهنتها أو رهبانها، أن يكون مستقيم النيَة، صادق العزيمة.

ينبغي أولاً أن تكون محبّة المسيح هي الدافع بالشاب إلى خدمة المسيح، لا يحدوه إليها غاية سواها، لا من مال، ولا من جاه ورفعة، ولا من مراتب. فلا يبغي منها ألا وجهه الكريم. ومن علامات هذه النيَة المستقيمة روح الصلاة يدأب عليها منذ حداثته، إذ يحتلّ الله في حياته، وفي مشاغله المكان الأول. ينبغي ثانيًا أن يكون متحليًا بالفضائل الأدبية والاخلاقي الحميدة.

بهذه الحياه الأدبية يطمئن الشاب الى مستقبله، ويضمن للكهنوت الذي يعتنقه، وللرسالة التي ينخرط في سلكها، الاعتبار والنجاح ولا أعني بذلك ا يكون منزّها عن كل خطأ. فقد يكون مثلاً قد لاقي فيما مضى بعض الصعوبات في ممارسة الطهارة. وقد تكون سبقت له فيها سقطات. إلا أنّ ذلك لا يحول دون أن يكون قد ثاب إلى رشده، وقبض على زمام غرائزه، ضابطاً نفسه، كابحاً جماحها. فعاد، منذ مدّة ليست بقصيرة، سيّد أمياله ونزواته. ولك ما يرتاح له الضمير، فل يوجس من المستقبل خوفًا.

وينبغي ثالثاً أن يكون له من الكاء والمقدرة ما يؤهله لأن يقوم بما سيعهد إليه من مهام القيام الحسن.

على الراغب في الكهنوت أن ينكبّ على الدروس الفلسفية

واللاهوتية اللازمة. وعلى الذي ينضمّ إلى جمعيَة إخوة المدارس أن يمّ الدروس المقاضاة. وكذلك على مَن يريد أت يخدم المرضى، أو أن يذهب إلى بلاد الرسالات. فكل كمن هذه الدعوات تتطلب مؤهّلاتها من الدروس والاستعدادات مما لا بد لاقتنائه من ذكاء وإرادة ومقدرة قد لا يكون الشاب نابغة أو فلتة. حسبة أن يكون على شيء من توقد الذهن، وأن ينكبّ على دروسه وأعماله بهمّة واجتهاد، فيبلغ من النجاح ما لا يبلغه نابغة كسول، أو علامة تائه في عالم النظريات.

وينبغي أخيراً، أن يكون على مقدار من الصفات الجسمية يتناسب مع المهام التي سيتعاطاها فيما بعد.

فيتزيّن بالخلق الحسن، والعريكة اللينة، والقياد السهل، حتّى يحتلّ في حقل رسالته المكانة التي على رسول المسيح أن يحتلها.

لا يجدر بالكاهن أو الراهب أيكون له من الخلق ما ينفر منه الناس، ويقوم عائقاً دون دخول النعمة إلى القلوب. إنه عندئذ لا يعود رسولً للّه، بل عقبة في سبيل اللّه.

جاء شاب يوماً إلى يسوع وقال له : " وصايا اللّه كلّها قد حفظتها منذ صباي. فماذا أعمل الآن ؟ " فنظر إليه يسوع نظرة وقعت فيها العين على العين، ثم قال له : " إذا شئت أن تكون كاملاً فأذهب وبع مقتناك، وأعطه إلى الفقراء ، وتعال فاتبعني".

واليوم، وقد مرّ على الحادث ألفا سنة، لا يزال المسيح ينقّل في الناس، فيقع على هذا وذاك يسأل، ويدعو، ويستحثّ فإذا بشبّان عديدين يتقدمون، ويلبّون الدعوة. هل شعرت أنت بمثل هذه النظرة؟ قد ينتظر المسيح منك أنت الخطوة الأولى، أنت الذي أغدق عيك نعمة ومواهبه. إذاً أطرح سؤالك عليه، ولكن لا تكن كذلك الشاب الذي تقدّم أولاً بالسؤال ثم تراجع أما الدعوة، أمام الجواب.

إن النفوس في بلادنا، وفي بلاد الرسالات، وفي كلّ بلاد العالم، هي حصاد ناضج ينتظر فعله لحصاده. إنّ النفوس جائعة وليس مَن يقدم لها خبز الحياة، وعطشى وليس من يرويها من ينابيع النعمة. فعلى الشبيبة أن تسمع كلام المسيح. وتتبصّر به، وتتدبّره : " الحصاد كثير، والفعلة قليلون". وأيضاً : " إنّي أتحنّن على هذا الشعب".

صلاة الذي يتقدم لخدمة الربّ

يا سيّدي يسوع المسيح، لقد شعرت أكثر منّي بفاقة البشرية وشقائها، وهي تطب النور والحقيقة. فمن يقودها إليك؟

هاءنذا ، يا رب، أتقدمّ لهذه المهمّة الخطيرة السامية. ترني، حتّى أعرف إرادتك وأتممها.

شدّد عزيمتي، حتى أتغلب على الصعوبات التي تعترض طريقي/ وتقوم عقبة في سبيل تحقيق بغيني.

أشعر كغيري بفرح إنشاء عائلة واختيار شريكة الحياه وتربية الأولاد، أولاي لكنني أضحّي بهذه الأفراح، وبهذه الأعباء لكي أتبعك، فأحمل أعباء غيرها، وأحصل على أفراح غيرها.

هاءنذا يا اللّه.

أما إذا أردت أن أسلك طريقاً آخر، فأعدك بأن أظل مسيحيا حقيقياً، لا يتهرّب من الواجبات في كنيستك وفي المجتمع.

وأنتِ، يا سيدتي العذراء، هاك قلبي، فأحفظيه، آمين.

فهرس المحتويات

إلى أصدقائي من الشبّان الذين يطالعون هذه الصفحات.....

أنت وأمك	8
أية الحياه	8
كيف ينمو الطفل	10
ساعة الولادة	12
عظمة حب الأم	13
الولدة الثانية	16
صل لأجل أمك	17
أنت وأبوك	18
أنه صورة أبيه	18
سنة الحياه	19
أعوان الله	21
سر الزواج	22
مقام الأب	23
صل لأجل أبيك	25
أنت وجسدك	26
منبع الرجولية	27
احترم جسدك	28
الغرائز واللذة	30
التفريط بالقوى	33

كفاح نبيل	35
لا تيأس	41
استرشد	43
صلاة لحفظ الطهارة	45
أنت والفتيات	46
اكتشاف	46
كائنات متكاملان	47
الحب الحقيقي	48
هل من حب صحيح في عمرك؟	49
نفسيتان مختلفتان	50
فخاخ وشباك	52
كيف تسلك مع الفتيات	56
صل لأجل الفتيات	59
الى الشبان الذين يقفون حياتهم على خدمة الله	60
صلاة الذي يتقدم لخدمة الرب	65

تصميم الغلاف : جان قرطباوي

الصف : شركة الطبع والنشر اللبنانية

(خليل الديك وأولاده)

الطباعة : مطبعة دكاش

96/8/15-1.5-349